حكايات عبر الزمن

عنوان الكتاب: حكايات عبر الزمن
الموضوع: مجموعة قصصية
التأليف: مجموعة مواهب
الإخراج الفنيّ: عمرو وسالم سواح
تصميم الغلاف: باسم مدحت
رقم الإيداع: 2019/ 11560
الترقيم الدولي: 978-977-6639-51-5
الناشر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
7ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066
تويتة Tweeta للنشر و التوزيع
#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

حكايات عبر الزمن

مجموعة قصصية

مجموعة مواهب

الفهرس

الفهرس ٥
تقديم الكاتبة الروائية رشا العمري ٨
الإهداء ١٠
حياة أخرى ١١
تأليف: أوكفيل عبد الحكيم
" ديستوبيا" ١٧
تأليف: نورين العربي
رجل الشرفة العجوز ٢١
تأليف / محمود سعد محمود
وجاءوا أباهم عشاءً ٢٩
تأليف / شيرين جمال

السفر عبر الزمن ٤٣

تأليف / كريم الغباشي

الرسالة ٥١

تأليف: هويدا أبو سمك

البِنَايَةُ الشَّيْطَان ٥٥

تأليف/ حسن كشاف

الضُرَّة ٥٩

تأليف / رمضان سِلْمِي بَرقِي

العينان البنيتان ٦٧

تأليف: ندى أشرف

حب بمائة جنية ٧١

تأليف: محمد مجدي نور

اغتيال عاطفي ٨١

تأليف / أمنية عادل

العائلة ٨٥

تأليف / زاهيه سوسي

العصفور ٩٣

تأليف / باهر أحمد نصر

أمـــل مـحـتـــرق ٩٥

تأليف / نَورّه أحمد السيك

فستان الحقد ٩٩

تأليف: إيمان مصطفى

أنين زهرة المدائن ١٠٣

تأليف : محمد مرزوق

أحلامنا هي الخيوط التي نتعلق بها لتحقيق طموحنا، منا لم يرسمْ أحلامه على ضي القمر وتمنّى أن تتحقق في يومٍ ما؟

نحن هنا نسعى لتحقيق بعض الأحلام الصغيرة والتي في يومٍ ما ستغدو أحلامًا كبيرة وستتحقق فقط بالسعي، وبالإيمان بمواهبنا يمكننا أن نحقق ما كنا نراه مستحيلًا فيما مضى، فقط

نثق بخطواتنا ونجتهد لتحقيق ذاتنا، فالفشل ليس أن تجرب وتفشل، ولكن الفشل هو أن لا تحاول.

"حكايات عبر الزمن" ما هي إلا حلم مجموعة من الشباب اختلفوا في أوطانهم ولكناتهم، ولكنهم اجتمعوا في حلمٍ واحدٍ وهو أن تصل أقلامهم لكل قارئ، هدفهم أن ترى حكاياتهم النور؛ فما بين يديك ليس مجرد كتاب ولكنه أحلام تجسدت على شكل حروف وكلمات.

ونتمنى جميعا أن تتحققوا أحلامكم ذات يوم وتغدو حقيقة.

رشا العمري

إلى كل إنسان يرى أن حلمه

قريب مهما كان بعيدًا .

حياة أخرى

تأليف: أوكفيل عبد الحكيم

"مجيد، عد يا مجيد، إلى أين ذاهب؟ عد يا ولدي أرجوك"

كلمات أخيرة من أم جفت دموعها وانتهت فاعتصرت منها الأحزان آخر التّوسلات، كمن يصلي صلاته الأخيرة فيدعو الله كمن لم يدعُ من قبل، راجيا الهداية لمن رام النهاية كرِه، ملّ، ضاقتْ دنياه بما رحُبت، فكانت الحياة الأخرى الباب الذي بيده مفتاحه الوحيد، بعد تعب، كد، وهمٍّ شديد، لا جديد، كلما اقترب كان مما يريد بعيد، ففكّر وقدّر الأمور بمقياس، واهتدى بعد مدّة تدبّر إلى الهروب من سجن الهموم والعلل، نعم ليس بالأمر الجلل، فما الدّنيا هذه سوى شقاء تلو شقاء، منها الرحيل أولى من البقاء...

سيغفر لي ربّي فهو أعلم بحال عبده، وإنّ الذي سأُقدم عليه رحمة بنفسي وراحة لغيري.

طُرد مجيد من عمله ظلما، واتّهم بخيانة الأمانة، ضاع ونفسه أضاع، فقد خيطت مؤامرة ممن غاروا، فعليه أغاروا، صار بطّالا دون عمل، وطالت مدّة العطب، ولم تصبر على مصيبته من كان يخالُها شريكة الحلو والمرّ، فالحقيقة تظهر حين العسرة من الأمر، فأنكرت عليه ولامته على أنّه المخطئ، وهو المظلوم المقهور، بعد شهر تركته يتخبّط وحده في أمواج همومه، وأخذت معها فلذّات كبده، كأنّ المصيبة لم تكفه، فزادته ثانية على الأولى، لم يتحمّل ذلك، وشعر بالذلّ والهون،

زاد الطّين بلّة تخلّي الأقربين، فعافه الأصدقاء والأحباب، لأنّ الألسن تنقل الأخبار وتزيد، فبات مجيد السارق المخادع، الخائن المنبوذ ...

وسط ركام المنافقين الكارهين له، بقيت أمّه الحبيبة سندا وليًّا، رفضت ما قيل، واتّبعت ما يملي القلب الصّادق:

-"هذا ابني مستحيل أن يفعل ما فعل، أو أن يقدم على مثل ما اتُّهم"

لكن ثورة الغضب كانت الأغلب ...

تغلغلت في مجيد مرارة الظلم حتى النّخاع، وبات ينظر لغيره كمن ينظر لشياطين ضاحكة على "كوميديا" همومه، راقصة على قبر وجوده، فأقسم أن يكرههم، وينتقم لمن حرموه حقّ الدّفاع عن نفسه أشدّ انتقام، فصار بفضل كرم الغير عليه بجزيل البغض والنّكران مجرما دون أن يكون في الحسبان، تحت وطأة الحاجة والجوع سرق ونهب بيت صديق له، أتلف ممتلكات آخر، أشعل نارا وتركها تأكل دار خاله، مع ذلك لم يشبع، نعم، لم يُشف غليله حتى خطف أولاده من بيت حماته حين غياب زوجته، فمنها الشوق لملائكته الصغيرة، ومنها النّيل من الأمّ البغيضة، لكنّ النّهاية معروفة كما عُرفت البداية، فمن كان دافعه الانتقام من أيّ كان، انقلب عليه ما كان، أُلقي عليه القبض، وصار في السجن والعفن رفيقه بعد ثبوت التّهم عليه، فمتى انهالت المحن كانت على مرّة، وإن تمادى العبد تمادت عليه، وغاص في وحل المصائب دون كرّة، زادت الآلام، وغطّت الحسرة مجيدا بثوبها العاري، وخرج بعد مدّة من السجن يجرّ الخيبات، من كان هناك ؟ أمّه مبتسمة:

"الحمد لله على السلامة يا ولدي، اشتقت إليك يا نور عيوني، أحبك يا ابني، أحبّك".

ضمّته إليها بقوّة وأخذت بتقبيل صدره، قصر قامتها منعتها من الوصول إلى وجهه، بعد كلّ ما حصل، لازالت على عهدها الأوّل ...

بكى مجيد وضمّ أمّه، حتى أسكنها صدره، أمّه... هي أمّه ...

عاد وعاش معها فترة، لكنّ أهوال الحياة كانت بانتظاره، لم يقبله أحد ليعمل عنده لأنه نزيل سجن، سوء الظن والحكم على الغير يعودان كرّة أخرى، وهكذا كلّما طرق بابا أُغلق، وكلّما أمل مرّة، خاب ألف، فسقط أخيرا في غيابات جبّ النفس الكارهة المتسائلة: لماذا ؟ لماذا أدفع ثمن ما لم أقترفه ؟ لماذا عليّ أن أصبر على الغير وهم الذين ظلموني وأبعدوني عن كلّ شيء ؟ لماذا أحاول كسب ثقتهم وهم الذين رفضوني ؟

لا جواب... سوى كلمات أمّه المسكينة: "اصبر يا ولدي، فبعد كل محنة فرج بإذن الله".

وإن تتابعت المحن كما سبق ؟ وإن كان الفرج بعيدا ؟ أأصبر أيضا ؟

لم تطل مقاومته حتى استسلم، وخاض عالما آخر أبعده عن آخر شخص ظلّ إلى اللّحظة وفيًّا له، دخل عالم الأنوار المتلألئة، عالم الأحلام الزّائفة، المخدرات.

صار يتعاطاها بعد بيع ما وجد في المنزل، تلك الحبوب السّحرية تحمله إلى هناك، إلى مكان مجهول، حيث الآلام درب من خيال، حيث اللاّزمان واللاّمكان، هناك الحرية المطلقة، حيث الوجود بكلّ تفاصيله بين يديك، تفعل ما تريد، دون مانع أو رادع، تشعر بالقوّة والقدرة، تستطيع كلّ شيء دون حدّ أو عجز...

وهو في غمرة شطحاته المجنونة إذا بأمّه تفاجئه وهو "يجامعها" خفية، لم يرحم نفسه المسكينة فجعلها سجينة شهواته الدّونية، في اللّحظة التي أدخل السمّ

في ساعده بحقنه في دمه صرخت الأم : " لا ... لا يا ولدي ... ماذا تفعل بحقّ الإله ؟ أتهلك نفسك ؟ لماذا يا ولدي لماذا؟".

ينهض متثاقلا وقد أنهكه حمل نفسه، يترنّح ترنّح السكّير، عليه سواد في وجهه كنافخ الكير، عيناه حمراوان كالجمر وشفتاه متدليتان، بصوت آخر غير معهود يردّ على أمّه:

"ماذا تريدين ؟ حتى النّسيان محرّم عليّ في دنيا الغاب هذه ؟ إن انتقمت أعود، وفيه سأظلّ، وإن بقيت فلن يتغيّر الحال، فذاك محال، لم أجد شيئا ولم أستطع حتّى ردّ زوجتي وأولادي، لم يرحمني أحد ...".

لم تجد الأم ردّا، فما قاله حقيقة، ما العمل الآن ؟ أتحاول ردعه بالتمنّي ؟ بالترجّي؟ كيف يقتنع بوجود أمل بعدما عاشه من ظلم وعدوان ؟ يحاول ؟ إلى متى ؟ يجاهد نفسه ؟ مرّات أخرى ؟ الكلام سهل وألم الخيبة تلو الخيبة يعيد صاحبه إلى النّقطة الصفر مرارًا وتكرارًا يتقدّم نحوها ويدفعها على جنب، لا يدرك حتّى ماذا يفعل، يريد الهروب، الخروج، تمنعه الأم عن ذلك، وتلمح في يده شيئا، إنها ... إنها حقنة أخرى، جرعة ثانية من المخدر الذي يتعاطاه، فتصرخ باكية :

" ما هاذا ؟"

" ابتعدي"

هاته المرة يدفعها بقوّة أكبر ويخرج ...

"مجيد، عد يا مجيد، إلى أين ذاهب ؟ عد يا ولدي أرجوك "

كانت آخر التّوسلات، خرج وتركها لأحزانها ... تبكي بحرقة على ولدها ... ولدها الذي خانته الدنيا، خانه الكلّ، بل وخان نفسه أيضا.

الجو عاصف، السحاب الكثيف الرماديّ كسقف يكاد يمسح على الرؤوس، رياح قوية باردة، الأمواج عالية تتلاطم وتنكسر على حواف صخور كسيوف مشهورة، اتخذ من هذا الشاطئ ملجأً للهروب، هذا الشاطئ الذي شهد من بعيد غرق المئات من المهاجرين غير الشرعيين، شاهد على رحيل الكثير من الشبان إلى العالم الآخر، اليوم الطبيعة غاضبة، لن يطيل أكثر فلربّما تمنّيه نفسه بالحياة ...

" سأنهي حياتي الآن، حياتي البائسة التي لا معنى لها ".

يضيف والدّموع باردة على وجنتيه:

"سيغفر لي ربّي فهو أعلم بحال عبده، وإنّ الذي سأُقدم عليه رحمة بنفسي وراحة لغيري".

يحقن نفسه بآخر جرعة، ويستسلم لما سيكون... لم يطل الانتظار، وإذا بالدنيا تدور به، أضواء وألوان هنا وهناك، تزيد ضربات قلبه، وكذلك ارتعاشه، ليس من البرد أو الخوف، بل تلك طقوس الرحلة الأخيرة، الجسر الذي لابدّ أن تمرّ منه إلى هناك، لابدّ لأن تشعر بهذا الانتقال، هنا يطغى اللون الأبيض على ما يرى، يحسّ نفسه خفيفا كطير محلّق، لما لا ؟ الآن ... وفي هاته اللّحظة بالذات... بإمكانه اختراق سماء دنياه إلى ما وراء ما يرى، يجف ريقه ويتطلّع إلى ما يوجد هناك، خلف ستار الرفض يوجد من يقبل مظلوما، لا بدّ نعم، خيط ضوء يخترق الغيوم فيتدلّى، يدعوه إلى الصّعود، كيف له أن يقاوم ؟ كيف له أن يرفض ؟

يقف ويميل بنفسه إلى هذا الحبل المضيء يريد إمساكه، وإذا به يهوي على الصخور ساقطا من فوق، يتلقف آخر الأنفاس، يحاول فهم ما يحدث قبل أن يلقى مصيره، هنا يسمع صوت أمّه، الوحيدة التي آمنت بصدقه وأمانته، الوحيدة التي أحبّته لنفسه: " ولدي ... ولدي ... أرجوك لا تتركني وحدي يا ولدي".

آسف أمّاه، فوجع التخلّي أكبر من التمنّي، ولست مضطرّة لأن تتحمّلي شخصا مثلي، جعلتك تعيشين الآلام والأحزان على كبر سنّك، سترتاحين مني وترتاح الدّنيا، وداعا يا حبيبة القلب".

تقطّعه السيوف إربا، وتتناثر شظاياه هنا وهناك، يلوّن دمه الصخور السوداء كلوحة فنان غلب جنونه عقله، كان هنا وصار ذكرى، رحيل إلى عالم آخر ...

فجأة يفتح عينيه وإذا بأمّه أمامه تردّد: " ولدي ... ولدي ... لا تتركني يا ولدي...".

أين أنا ؟ ما الذي يحدث ؟

هو على سرير أبيض ... وحوله أشخاص كثر.

من هذا الذي يرتدي مئزرا أبيض ؟ طبيب ؟ أأنا في مشفى ؟ ألم أمت اللّحظة؟ يتساءل فهو ضائع لا يدري ماذا يحصل ...

تلتقط أذناه ما يشبه صوتا، نفس الرجل يتكلّم:

" لقد أفاق، كادت الجرعة التي تناولها أن تأخذه، الحمد لله على سلامتك يا مجيد".

ارتمت أمّه على صدره تقبّله وتعانقه، غير مصدّق لما حدث يدرك مجيد أنّ المخدّر أدخله في غيبوبة، وأنّ ما حدث إلى الآن مجرّد كابوس، استسلم فيه لضعفه وهوانه، إلاّ أنّ الله منحه فرصة ثانية ... لم يصدّق ما حدث... لم يصدّق...

بادل أمّه العناق دون أن يتكلّم، وبكى في حضنها بكاء الصغير، نادم على ما اقترف، أكان درسا ؟ عِبرة ؟ المهم أنّها حياة أخرى.

❊ ❊ ❊

" ديستوبيا"

تأليف: نورين العربي

أحترق من الغضب، بينما أتذكر كلمات أبي: "أنت تجلب لنا العار، تثير سخط الجميع فأنت عاطل لا تسرق ولا تكذب ولا تشاركنا ملذات الحياة..

أنتبه لصوت كرميا تناديني "يونياس": علمت أني سأجدك هنا، تخبرني أنها سئمت ديستوبيا فالمتع فيها صارت عادية حد الملل، وأنها تحلم بحياة أكثر مجون مليئة بالعمل واللذة، حياة لا توجد إلا في الأرض السابعة.

أخبرها أنني لا أتوق لشيء سوى "الحرية".

ألقي بنفسي في النهر تتبعني كرميا تقترب مني، تلصق جسدها بجسدي، تشم عنقي، أدفعها بعيداً عني..

في اليوم التالي يقيم لي المجلس الأعلى محاكمة عادلة، فقد علموا أنني أغضبت كرميا، يخبرني أبي أنه لا يستطيع مساعدتي، حتى تاريخ جدي الأكبر مؤسس ديستوبيا وواضع قوانينها لم يعد شفيعاً لي، بعدما تخطيت الحد الأقصى من الفضائل المسموح بها.

يذكر الدفاع أن سباحتي الدائمة بنهر الدموع الذي كونته دموع جدتي حين أتى بها جدي عنوة إلى ديستوبيا هو السبب في نقاء روحي ورفضي الغير إرادي لقوانين ديستوبيا..

إكراماً لجدي يتم تخفيف الحكم من الفناء.. إلى النفي من الأرض الرابعة للأرض الأولي.

وطن جدي الأكبر قبل أن يقرر الهبوط للظلام بسبب نزعة الفساد بداخله، وكرهه لأرض الشمس.

يغمرني شعور السعادة والراحة لهذا الحكم..

يأمر القاضي بتعطيل قدراتي، يتم حقني بجرعة من الزئبق الأحمر وإرسالي لأرض النقاء والسلام والنور!..

أفتح عيني ظلام ودخان كثيف، أسمع قهقهات، فجأة أشعر بركلة في جانبي يتبعها صوت غليظ: انت من انهى داهية ومين رماك هنا؟

أسأله: أين أنا ومن أنتم؟

يجيبني: أحنا عفاريت جهنم.

أشعر بالفزع جهنم؟! عفاريت؟ هل صعدت أم هبطت؟

أحدهم يمسك بي ويضع شيئاً حاداً علي عنقي يزمجر: يا تقول أنت مين وبتعمل إيه هنا يا تتشاهد علي روحك..

أحدق فيهم ولا أجد إجابات لأسئلتهم، يسددون لي ركلات متتالية في جميع أنحاء جسدي، أحدهم يأمرهم بالتوقف يخبرهم أن هذا كافي لتأديبي وعدم التعدي علي مساحاتهم الخاصة.. يتركوني ويفرون، أشعر بأن أحشائي تتمزق، أهذا هو الألم الذي كانت تحكي لي عنه جدتي في حكاياتها الليلية، أشعر بالدماء ساخنة تتدفق من أنفي، ثم لا أشعر بشيء بعدها.

حرارة تلفح وجهي فأفتح عيني، أحجب قرص الشمس المتأجج بكفي، أنظر بجانبي، رجل عجوز ينبش في القمامة التي يعج بها المكان يفتح أحد الأكياس يأخذ كسرة خبز يمسحها في ثوبه ويأكلها، أحدق فيه مبهوتاً.. ينظر

إلى باحتقار ينصحني أن أكف عما أفعله في مكب نفايات شبرا، ويدعوا لي بالهداية والصلاح.

أتركه وأمشي علي غير هدى أشم روائح جميلة أرى أنواع مختلفة من الزهور أبتهج لرؤية الألوان، أنسى ألم الأمس، يبهرني طول النهر واتساعه، ليس ضئيلاً كنهر جدتي يسمونه نهر النيل ما أجمله، وما أجمل أرض الشمس..

بعد عدة أسابيع أحياها هنا وأتعلم أشياء شتى، بينما أتجول في الليل تصطدم عيني بأضواء باهرة تدور بجنون وتصدر صوت نفير متواتر رجال ونساء بملابس عارية وبعضهم يلف جسده بملاءة..

دون أن أسأل يهمس لي رجل من المتجمهرين: شايف ماشي زي الفار المبلول ازاي وفي مكتبه عامل أسد بيتحكم في الناس ويذلهم اهو ربنا فضحه.

الناس هنا يجيبون دون أن تسألهم ويتحدثون معك دون أن يعرفونك.

امرأة شبه عارية تصيح: حرام عليكوا يا باشا، دول كلهم محترمين وولاد ناس.

أبتعد عنهم وأعود لسيري.. شاب يتحدث بعصبية: "نحن صامدون ولن نتخلى عن مواقعنا أو مبادئنا، فكل شيء هين ورخيص إذا كان ثمناً للحرية".

أشعر بشيء من الراحة يتسرب لنفسي "الحرية" كم هو عذب مذاق هذه الكلمة له وقع السحر في نفسي

يوزع حقائب علي المتجمهرين حوله يلقي لي بإحداها يأمرنا أن نسرع لنصل بإمدادات الطعام للزملاء فما زال علينا تخطي العديد من الكمائن.

أسير مع الجموع، أدخل معهم إلى ميدان برغم اتساعه لا يوجد به موضع لقدم، حشود من جميع الأعمار والأطياف،

فجأة يتعالى الصراخ والكل يجري، أحصنة وجمال تدهس الناس ، أعيرة نارية من كل صوب لا يعرف مصدرها وحرائق تندلع، أناس يحترقون بجانبي وأشم رائحة شواء اللحم البشري، أركض مع الراكضين لا أعلم لأين الجثث في كل مكان والدماء تملأ كل الطرق،

من مع من.. ومن ضد هؤلاء؟

هل هذا يوم القيامة؟ أشعر بدوار شديد أمسك برأسي كي لا ينفجر من الألم، أتسلل وسط الفوضى لأحد المحال أسرق كل ما به من أموال،

أشعر بالحنين لديستوبيا، أعود لمكب النفايات ، أتجرع كل الزئبق الأحمر الذي اشتريته من أحد السحرة..

أغمض عيني وبكل ما أوتيت من سخط أسقط في الشق الأرضي.

أفتح عيني ظلام، تتضح الرؤية رويداً أجساد نارية تضئ قاعة محكمة ، أحدهم يجلس في قفص..

يصيح به القاضي: حكمنا عليك بالنفي من الأرض السابعة إلى الأرض الرابعة.

❊ ❊ ❊

رجل الشرفة العجوز

تأليف / محمود سعد محمود

..... ﴿ ١ ﴾ .....

كان الصقيع يشتد أكثر فأكثر علي جميع السائرين في شوارع مدينة الضباب

(لندن) ولكن هذا ما يميز هذه المدينة الرائعة عاصمة الإنجليز، وفي هذه الشرفة كان يجلس هذا الرجل أشيب الشعر وعمره يتجاوز الخمسين ويتميز بملامح عربية خالصة من حيث اسمرار الوجه والشعر الأكرت ولكن تشعر من ابتسامته البسيطة التي تنم عن رضاء بالنفس وعن سلام داخلي يكاد أن يملأ العالم كله وارتشف رشفة صغيرة من فنجان قهوة صغير ثم وضعه على الطاولة مرة آخرى ونظر إلى السماء ثم قال: الحمد لله .

وفي الشارع كان الناس يسيرون في حالات مختلفة كحالة كل البشر (فهناك من هو سعيد ، وهناك من يحزن علي أشياء كثيرة في حياته غير ملائمة، وهناك من يتميز بالجدية) وكان الطريق يتميز بالالتزام والانضباط في كل شيء كعادة الشعب الإنجليزي ، وفي لحظه من لحظات الهدوء تفاجأ السائرون بشيء يقع علي الارض في قوة غير طبيعية ويصيب كل من بالشارع بالذعر فانطلق البعض مهرولا بعيدا عن المكان والبعض الآخر إلى

موضع الشيء الواقع فوجدوه رجل عجوز يشتبه إنه انتحر فقام أحد ضباط المرور بالشارع بالكشف عن وجهه فما كان هذا الرجل إلا

(رجل الشرفة العجوز) .

..... ﴿ ٢ ﴾ .....

هناك تقارير كثيرة يا سيدي تؤكد بأن الأنبا لينوس ماركيميوس معرض للاغتيال في أي وقت ومن أكثر من جهة ولكن لا يوجد إلى الأن أي أثر أو دليل مادي لنتبعه.

نطق ضابط جهاز المخابرات البريطانية دانييل كريدج هذه الجملة في وجه مدير الجهاز مستر أرون كامبل فرمقه المدير بنظره شاردة ثم قال له:

- وما الذي يجعل الأنبا مركيميوس عرضه للاغتيال انه رجل دين؟

قال دانييل: ولا ننسى أيضا أن له بعض الآراء التي أثارت جدلا واسعا في الفترة السابقة منها ما يدعوا إلى الإصلاح الاجتماعي والديني والسياسي وأنه بهذه الآراء أصبح له أعداء كثيرون.

قال مستر أرون: حسنا إذًا يجب مراقبه خطوات الأنبا مركيميوس جيدا وتشديد الإجراءات الأمنية جيدا علي كل المطارات لعلنا نمنع حادثه اغتيال قبل أن تقع .

..... ﴿ ٣ ﴾ .....

لم يكن لديه وقت في التفكير قبل الانتحار انه فكر جيدا ثم نظر إلى وابتسم قائلا بلهجة عربية واثقة (الحمد لله) نطق ريكي سانتوس هذه الجملة في وجه مدير جهاز التحقيق في حادثة انتحار رجل الشرفة العجوز

والذي كان معه وقت الحادث الشنيع والذي بدا متأثرا بما حدث فنظر إليه مدير جهاز التحقيق ثم قال: وما الذي جعله يقدم على هذا الفعل ؟

فقال له سانتوس: لا أعلم أنه كان يتمتع بالسعادة والاستقرار النفسي والصحة الجيدة ولا شيء يمكن أن ينبأ بما حدث.

فقال مدير التحقيق: أين كنت لحظه إلقاء نفسه من الشرفة ؟

قال سانتوس: كنت أجلس أمام التلفاز أشاهد مباراة في كرة القدم.

قال مدير التحقيق : وماذا فعلت بعد الحادثة؟

ظهر القلق واضحا علي وجه سانتوس وهو يجيب: قمت مهرولا إلى الشرفة لأعرف ماذا حدث وكنت مندهشا مما حدث.

قام مدير جهاز التحقيق ووضع يديه علي كتف سانتوس قائلا في تحفز واضح: وهل كان معك أحد في الشقة؟

ظهر الخوف والارتباك جليا على وجه سانتوس وهو يجيب: لا لم يكن معي أحد علي الإطلاق.

هنا ابتسم مدير التحقيق ابتسامة تنم عن أنه قد علم من القاتل لآن رجل الشرفة العجوز لم ينتحر بل قتل .

..... ﴿ ٤ ﴾ .....

بذل أنطونيوس ميخاليس رجل المال والأعمال اليوناني جهدا كبيرا لاسترجاع الأحداث التي دارت بينه وبين أخيه منذ زمن بعيد وظل يحدث نفسه قائلا : كان يظن أنه سيهرب بفعلته ويأخذ كل شيء يقتل ويسرق ويمارس أبشع أنواع الجرائم وكل ذلك تحت أعيني وعندما أطلب منه جزء

قليل من كل ما حصل عليه من الطرق الغير شرعية يقوم بتحويل جميع الأموال إلى حسابات سرية خاصة به في جزر الباهاما ويتنكر في شخصية لا يمكن لأحد أن يقوم بمسائلته فيها قانونيا ولا دينيا لآنه أصبح بذكائه المعهود شخصيه ذات مكانه مرموقة وحساسة أكثر مما يتخيل أحد ولكنه تغافل عن العامل الأساسي في الحياة (القدر) والذي سوف أذهب به إليه رغما عن كل ما يحيطه من إجراءات أمنية مشددة.

..... ﴿ ٥ ﴾ .....

بدأ المواطن الإنجليزي البسيط كلامه بنبرة يعتصرها الألم موجها كلامه إلى الأنبا ماركيميوس قائلا : لم يكن لدي أي خيار آخر نيافه الأنبا لقد كان هو كل شيء لي في حياتي ولم يكن أخي فقط بل كان أخي وأبي وهو من قام بتربيتي حتى كبرت لم أكن أتوقع أن أقوم بخيانته وسرقته بل وقتله أيضا لقد كنت أنوي الذهاب إلى قسم الشرطة لأسلم نفسي ولكن جئت أولا إلى سيادتكم لأعلن توبتي فهل سيغفر الرب لي ؟

لم يكن لدي الأنبا ماركيميوس جواب علي سؤاله في البداية غير البكاء وصمت برهه كأنه شخصا حالم يسترجع ذكريات طفولة حتى استطرد المواطن كلامه كأنه يقوم بإيقاظه من ثبات عميق حتى قال: نيافه الأنبا ماذا بك أعتذر إليك عن أي شيء قام بتعكير صفو سيادتكم ....

نظر إليه الأنبا ماركيميوس وهو يمسح دموع عينيه قائلا بنبرة ونظرة تحدي تدل علي أن هناك ذنب كبير في حياته وإنه عازم على التخلص منه: ما يبكيني يا بني هي ذنوب البشر التي تخطت الحدود إلى ما لا يتوقع وما

يبكيني أكثر هو أن الخطأ أو الذنب لا يفرق بين كبير وصغير ولا بين عالم أو جاهل كلنا منساقون إلى الذنوب بألات جر سريعة اسمها النفوس وإن النفس تخطئ وإن الرب يغفر.

..... ﴿ ٦ ﴾ .....

"أين تقرير كاميرات المراقبة الخاصة بشقة رجل الشرفة العجوز؟".

نطق مدير جهاز التحقيق هذه الجملة في وجه مساعده وهو متحفز لإجابة تهدئ باله في هذه القضية التي شغلت تفكيره الفترة السابقة، فنظر إليه مساعده قائلا :

- إنها تالفة منذ فترة طويلة ولم يتم إصلاحها من قبل صاحب الشقة.

انتفض مدير جهاز التحقيق في وجهه قائلا: ما هذا الهراء الذي تقوله كيف ذلك هذا استهتار من صاحب هذه الشقة ولابد أن يحاسب عليها.

لم ينطق المساعد بأي كلمة حتى نظر إليه المدير قائلا : أو أنها متعمدة أن يتم إتلاف هذه الكاميرات.

قال المساعد: وما الذي يجعل صاحب الشقة يتعمد فعل ذلك مع إنه.....

وقبل أن يكمل نظر المدير إلى الجانب الآخر من العقار المقابل لهذا العقار فوجد كاميرا مراقبة ملاصقة للعقار أمامهم فقاطعه قائلا :

- هل توجد أي صوره لرجل الشرفة الذي انتحر ؟

أجاب المساعد: لا يوجد يا سيدي فنظر إليه المدير في زهو وابتسم ابتسامة انتصار كأنه وصل إلى القاتل

..... ﴿ ٧ ﴾ .....

نظر مدير جهاز التحقيق في حادثه انتحار رجل الشرفة العجوز إلى الصور التي تمكن من استرجاعها من كاميرات المراقبة الخاصة بالشقة في البناية المقابلة للبناية التي بها شقة المنتحر وهو يشعر بزهو وانتصار وكأنه قطع شوطا كبيرا في هذه القضية ورتب في عقله خطوات يجب أن يقوم بها وأولها هي أن يقوم بزيارة المشرحة التي بها جثه المنتحر وبالفعل وعندما وصل إلى المشرحة طلب من الحارس الخاص بالمشرحة الدخول لزيارة الجثة ولكنه أفاد بأن الجثة خرجت للصلاة عليها في الكنيسة وهنا نظر إليه في عصبية ثم نظر إلى السماء وكأنه يلعن النظام والسرعة التي يتميز بها الشعب الإنجليزي ثم قال للحارس: هل توجد صوره للجثة حديثه قبل أن تخرج من المشرحة؟

فقال الحارس: نعم موجودة بالملف النهائي الخاص بها.

فطلب النظر إليها وبالفعل دخل إلى حجرة الإدارة الخاصة بالمشرحة وفتح الملف ونظر إلى الصورة وجحظت عيناه عن أخرهما عندما نظر إلى الصورة وقال للحارس : أين توجد الكنيسة التي سيصلي علي هذه الجثة بها؟

فقال الحارس: كنيسه شرق لندن.

رفع مدير الجهاز يديه إلى هاتفه المحمول وطلب رقم خاص بجهاز المخابرات البريطانية وطلب التحدث إلى مستر دانييل كريدج في أمر ضروري وما أن سمع صوت دانييل حتى قال بملء فمه: مستر دانييل جاءت إلى جميع أجهزة التحقيق الفيدرالية منشور يفيد بتكثيف الإجراءات الأمنية

علي كنيسة شرق لندن وبالأخص علي الأنبا لينوس ماركيميوس وأنا الأن أؤكد لسيادتكم بأنه يوجد خطر حقيقي يحاك علي الكنيسة بالكامل بما فيهم الأنبا ماركيميوس وهذا الخطر سببه صلاه الجنازة التي ستقام بعد ساعة من الأن ولا أستطيع التفسير أكثر من ذلك.

..... ﴿ ٨ ﴾ .....

بدء القداس الجنائزي بوقوف الأنبا ماركيميوس أمام الصندوق الذي يوجد به جثه رجل الشرفة العجوز وبعد مرور دقائق علي بداية القداس حتى شعر الأنبا بوجود حركه خفيفة في داخل هذا الصندوق فلم يبالي في البداية حتى شعر بالحركة مرة أخرى وهنا شعر بأن هناك خطر يحاك به وعلي غير المتوقع أدار جسده إلى الحاضرين ثم قال :

- أيها الأبناء الأفاضل يجب أن تعلموا أن لكل فعل رد فعل وأن لكل ذنب ضحايا يعانون من هذا الذنب وأن جميعنا يخطأ حتى انا أخطئ وأحب أن أبرئ ذمتي أمام الرب بتبرعي بجميع الأموال التي جمعتها من طرق مشروعة وغير مشروعة لجميع فقراء وضحايا المجاعات في جميع دول العالم وقد تركت رقم الحساب مع اداره الكنيسة وأبلغتهم بنفس الأمر وانا مستعد للمسائلة القانونية إن لم تأتي إلى الأن المسائلة الربانية وأن النفس تخطئ وأن الرب يغفر.

وما أن أدار جسده إلى مواجهة الصندوق حتى خرج منه شخص قام بتوجيه رصاصة إلى صدره حتى وقع جثة هامدة في الحال وسط ذعر الجميع.

انتفض خارج الصندوق وأسرع مهرولا إلى الشارع واستقل سيارة للهرب وظهرت علي وجهه نفس الابتسامة التي ظهرت علي وجهه وهو في الشرفة قبل أن يقوم هو وسانتوس بإحضار الرجل الذين قاموا بتخديره والقائه من الشرفة لينتحل لفترة قصيرة شخصيته هو شخصيه رجل الشرفة العجوز الذي كلف من أنطونيوس ميخاليس لقتل اخوه الأنبا لينوس ماركيميوس.

❊ ❊ ❊

وجاءوا أباهم عشاءً

تأليف / شيرين جمال

سأذهب معكِ إلى الجحيم إن أردتِ

لم نفترق منذ المدرسة الإعدادية، تلك المرحلة التي نكتشف بها أنفسنا باكتشافنا للعالم، كنت أبكي في أول يوم لي بكل مرحلة دراسية، في الواقع لم أكن أبكي أريد أمي، ولكني فقط لا أشعر أنه ينبغي عليّ أن أكون هنا.

تلك المكان الذي يسمى مدرسة، والذي يُصنف فيه الناس طوالا وقصارا، بحيث كان يتوجب عليّ أن أجلس في الصفوف الأخيرة فقط لأنني أطول من زملائي، بالرغم من إصابتي بقصر في النظر، علمت وقتها أن الناس لا يأخذون إلا بظواهر الأمر، ولتذهب بواطنها إلى الجحيم.

- سأذهب معكي إلى الجحيم إن أردت.

- أنا خائفة يا مريم لا تتركيني وحيدة.

لم تكن كل تخيلاتي عن الموت تشبه هذا المكان، حيث جلسنا في زاوية لم تصلها الإضاءة بعد في غرفة مكتظة بالألم والإحباط، كنا تعثرنا مائة وأربعين مرة في طريقنا إلى هنا، اضطررنا أن نسأل المارة على اسم الشارع أو الحارة أو الزقاق أو اللا أدري أسمه إيه، يصيب وصف أحدهم مرة ويجلي عشر مرات، إلى أن وجدناه حيث كان علينا أن ننزل إلى أسفل، السلم كان أشبه بهيكل عظمي لسمكة مرسومة في إحدى قصص الأطفال، كان شبه معدوم من عتبات السلالم، كل شيء متآكل.

الحال في الأسفل لم يكن أفضل حالا من الأعلى، قابلتنا ممرضة أو ربما امرأة عادية لم تكن تصلح لمسك مقص إلا لأن تساوي به إحدى حواجبها، قالت بنبرة متأففة ناطقة الـ "تاء" كحرف "T" في اللغة الإنجليزية عندما يكون ما بعده ساكن ثم ما بعده متحرك فتخرج كحرف "ش".

- ما هو اسمك يا حبيبتي

- اسمي بسنت محمد

كان عليّ تأليف اسم سريع، رأيت هذا في أحد الأفلام من قبل، تعلم الممرضة أو تلك الكوافيرة من وراء مكتبها إنه ليس اسمي الحقيقي، كنت مهووسة منذ صغري باسم بسنت، لم أحب أبدا اسمي الحقيقي، كنت أعلم إنه اسم لزهرة ما، كانت أمي تحاول أن تقنعني إن اسم بسنت معناه زهرة الشيطان، علمت وقتها أن الناس عندما تحاول إقناعك بشيء فإنها لن تحاول إقناعك بالشيء فحسب، ولكنها ستحاول أن تكرهك في كل ما هو شيء أخر.

جلست في الزاوية أنا ومريم، وجدنا كرسيين بجوار كولدير الماء، كنت عطشة لدرجة أنني ملأت الكوب لنفسي ثلاث مرات، بالرغم من إننا كدنا أن نودع الصيف، رأيت ثلاث فتيات يجلسن بجوار بعضهن دون مرافق، كُن يشبهن العرائس الثلاثة في أوبريت "صغيرة على الحب" ويسألن صيادين بحر الهوى عن تلك المرجانة الضائعة، والتي قد يكون أكل أمهر صياد في المدينة قلبها حيّا ساخنا وتركها بجوار النهر تحتضر، فاجأتني هي بلكنتها الغريبة مرة أخرى حينما اقتربت مني فجأة.

- ألستِ بسنت؟

- ماذا؟ نعم نعم.

- هل نسيتِ اسمك يا شابة؟

- لا كنت أفكر فقط، فلم أستطع التركيز.

- حسنا إنه دورك، الكشف المستعجل يدخل للطبيب على طول.

******

مريم كانت من وجدني، لا أحد في العالم كان يفهم معنى أن تحب سبايدر مان، مريم كانت تحب سبايدر مان، اكتشفنا بعد ذلك أننا نتشارك الكثير، كانت تختار مثلي أن تكون هي "سام" في كارتون الجاسوسات، تفضل كونان على أبطال الديجيتال، تفضل طلاء الأظافر الأخضر والأزرق وليس الوردي والأحمر كالجميع، واستمر الحال هكذا طوال الوقت وأصبحنا نفضل النوع نفسه من الأفلام والفرق الموسيقية، والكتب التي تتحدث عن الماورائيات، وأستاذ الرسم والموسيقى والولد الذي يعمل في القهوة أمام المدرسة، ثم قسم الفلسفة في كلية الآداب، وألوان الملابس وطريقة وضعنا للآيلاينر، كنا نجد بعض طوال الوقت، ولهذا كانت عليها أن تجدني في تلك اللحظة تحديدا.

كنا نصعد ذلك السلم الذي يشبه هيكل عظمي لسمكة محاولين الوصول إلى أقرب نقطة للهواء بعد أن كنا نكتم أنفسنا من تلك الرائحة العطنة التي ينساب إليها الكحول فتصبح لا تطاق، ولا أدري كيف تطيق تلك الممرضة بالأسفل أن تقضي كل يوم خمس ساعات من حياتها هنا.

- لم يجدر بنا فعل هذا.

- - اخرسي يا سلمى.

******

الغرفة مرتبة كما كانت وكما ستكون، ربما هو الأمر الذي نختلف فيه أنا ومريم، فغرفتي كانت عبارة عن كومة كبيرة من الملابس تقبع تحتها غرفة، أما هي

فكانت منظمة بالرغم من إنها كانت تتشارك غرفتها تلك مع أختها صفا، وغرفتي كانت لنفسي فقط، إلا أن كل شيء كان رائقا وكأن أشباحا هي من تسكنه وليسوا بنتين.

- من فعل هذا بكِ؟

-- لن أقول يا مريم، كان هذا هو الشرط الوحيد الذي حلفتي به على المصحف لأقول لكِ ما حدث لي.

- لا تخافي سنأخذه من قفاه إلى والدك، ما حدث لم يكن بإرادتك صحيح؟

- - لا أستطيع يا مريم، أرجوك كفاكي ضغطا عليّ.

- ضغطا.. هل كان عليّ تركك لذلك الذي يدعى طبيبا في مجزرته تلك التي تدعى عيادة؟

- - لا يوجد حل آخر.

- يوجد مائة حل، فقط قولي لي من فعل هذا بك، أعلم أن ذلك مؤلم، ولكني أعدك أنني سأجد حلا مرضيا دون دماء.

صمت الاثنان، أشاحت سلمى وجهها إلى الصور الصغيرة المعلقة في حبل مُضيء فوق مكتب مريم، كانت تلك هي من أعطتها تلك الهدية في عيد ميلادها الواحد والعشرين، صورا صغيرة تحمل ذكرياتهما سويا، رحلة الهرم في المدرسة، صورة عيد ميلاد سلمى الثالث عشر وهو أول عيد ميلاد لها بعد أن أصبحا هي ومريم صديقتين، صور الجامعة مع صديق ثالث لهما.

نظرت سلمى إلى مريم وكانت قد بدأت لتوها في البكاء.

- أحمد عامر.

******

كيف يمكن لفتاتين في المرحلة الثانوية أن ينجوا في الحياة دون صديق ولد، أحمد عامر كان قد وجدهما هما الاثنين، لا أحد في المرحلة الثانوية يحب الرجل النملة "Ant Man" سواهما، شاركهما أحمد عامر كل اهتماماتهن السخيفة، كل الأفلام الرومانسية الكوميدية في مطلع الألفينات، أغاني الروك أند رول والراب وإنريكي اجليسياس الساخنة، التي كان هم الثلاثة فقط من يفضلونها، في حين يفضل الأخرون ظاهرة جديدة من الأغاني "وديني التنجيد، ماتروحش لبعيد، إتش العروسة قمر، والزفة عربية هامر" حسنا ربما تكون أغاني لطيفة إن تُرجمت بالإنجليزية وغناها ٥٠ سنت مثلا، اختلفوا فقط في ولعهم بالفلسفة ونقاشاتهم اللانهائية في من هي أم العلوم الفلسفة أم الفيزياء، أحمد عامر سيرجح الفيزياء بلا شك، سيختار أن يكون علمي رياضة بالطبع، أما نحن فنفضل الفلسفة والقسم الأدبي لأن العالم أقصر من أن نقضي عشرين ساعة من حياتنا أمام مسألة رياضة٢.

منذ المرة الثانية التي رأينا فيها أحمد عامر في حصة الفلسفة، والتي كان يأخذها عنوة بسبب إلزام الوزارة لطلبة علمي اختيار مادة أدبية، وكانت أقرب لنزهة في شوارع لندن بالنسبة لي، ولكنه في هذا اليوم علمت أنها بالنسبة لمريم نزهة في وجه أحمد عامر.

لم يأخذ الأمر أكثر من أسبوع واحد حتى اعترفت لي مريم أنها تحب أحمد عامر، حبًا لم تكن تعرف إنه موجود بقلبها يوما ما، كان أحمد عامر على بُعد مبنيين من المباني المقابلة لغرفة مريم الهادئة، ذكرت لي ذات يوم إنها على وشك الرسوب في امتحانات الثانوية العامة بسبب إنها تذهب إلى الشباك بمعدل مرة كل

خمس دقائق لتراقب نور غرفته، وإنها عندما تجد اللمبة مغلقة تدخل في نوبة من القلق المرضي تستمر إلى أن يستيقظ أو يعود إلى منزله حتى تستطيع النوم.

ثم أخبرتني بعدها بشهر إن الغرفة ظلت مضيئة طوال الشهر الماضي، كانت كلما ذهبت ووجدتها مضيئة تنفست واستطاعت التركيز أكثر.

لم تكن كلية الهندسة بعيدة عن كليتنا نحن، فقط محطة واحدة، كنا نفضل أن يأتي هو إلينا، يُقال أن كلية الآداب هي كلية الكعب العالي، ولكننا كنا نرتدي أحذية رياضية طوال الوقت، مصر الجديدة كانت وجهتنا الرسمية، خاصة الجلوس في إحدى سلسلة المطاعم الشهيرة عالميا، نأكل مثلجات ثرثر عن أي شيء، في بداية الأمر كان أحمد عامر يأتي إلى الكلية ليرانا مع أحد أصدقاءه ثم اكتشفنا بعد ذلك إن سبب زياراته المتكررة في الآونة الأخيرة كان لرؤية صديقة لنا تدعى زينب.

بكت مريم وكأنها فقدت عضو من أعضاء جسمها، أو أحد أبويها، ظلت تبكي لمدة أربعة أيام متصلة، بلا توقف، تستيقظ لتفكر بأن أحمد عامر قد يفضل أي فتاة أخرى غيرها، فتبكي حتى مطلع الفجر.

- أيتوجب عليّ أنا أن أقول له؟

- - لا، إياك أن تفعلي هذا؟

- إلى أي مدى يمكن لقلبك الصغير أن يتحمل كل هذا الضغط يا مريم؟

- - سأكون بخير.

زينب لم تكن الأولى والأخيرة التي حاول أحمد عامر الارتباط بها طوال السنوات الأربعة، بالنسبة إلينا، والخمسة بالنسبة له، ولم تستطع مريم أن ترى غيره، قالت لي ذات يوم أنه في فرح أحدى صديقاتنا كانت كلما رأته يرقص ويضحك

من بعيد شعرت وكأن العروس والعريس والمعازيم قد أصبحوا مجرد بكسلات وهو الوحيد الحيّ الذي به روح.

لم تستطع مريم منذ أن كانت في الساسة عشر وحتى الواحد والعشرين أن ترى أي شخص أخر حيّ غير أحمد عامر، والباقي من حولها مجرد أشخاص مشوهين على هيئة بكسلات.

حاولت خلال السنوات الأربع الماضية نسيان أحمد عامر تماما واتخاذه فقط كصديق قديم ولكنني والجميع كنا نرى أن هذا ليس حقيقة مطلقة، ربما حاولت نسيانه، أو لم تعد تهتم به، ولكنني أجزم إنه الشخص الوحيد الحقيقي الذي أحبته.

******

لم تمر أكثر من ساعة حتى كان أحمد عامر في المكان الذي اتفقنا عليه، لم استطع تحديدا أن أميز كيف لمريم أن تصمد دون أي شيء حتى الآن، كيف لم تبكي، فقط اخذت الهاتف من فوق الكوميدينو بجوار سريرها، وطلبت أحد الأرقام وقالت بصوت جامد:

- ألو، كيف حالك يا أحمد، هلا تقابلنا بعد ساعة.

قد تنهار مريم في أية لحظة، أعلم هذا، ولكن ليس الآن، بالرغم من رقة مريم إلا إنها قوية، وبالرغم من قوتها إلا إنها هشة، ستنهي كل هذا ثم قد تنهار، أتذكر ذلك اليوم الذي ظلت فيه جامدة لعدة ساعات لا ترمش، فقط تنظر إلى اللاشيء، بعد وفاة والدها، كانت هي الأخت الكبرى لديها أخت واحدة فقط تصغرها بأربع سنوات وأم إن خرجت من باب مطبخها تشعر بالضياع، أنجزت مريم كل الإجراءات

الخاصة بالدفن ومراسم العزاء، ثم جلست في غرفتها هكذا إلى أن استوعبت الأمر وبدأت بالبكاء.

إلى أي مدى يستطيع قلبك أن يتحمل يا مريم؟

- كيف حالك يا مريم، كيف حالك يا سلمى؟

- - لا سلام ولا كلام، كيف يمكننا أن نصحح الوضع؟

- لا أدري يا مريم، حدث كل هذا غصب عني، لم أكن في يوم أريد أن أجرح أحدا منكما، أبدا، أنتي تعرفين هذا، صحيح؟

- - حدث ما حدث، كيف يمكننا أن نصحح الوضع؟

- أنا حامل.

نظر أحمد عامر من فوق نظارته الطبية إلى سلمى باستغراب

- حامل ممن؟ مني؟

- - لأ، حامل من أبيك يا حقير.

حاولت مريم تهدئة سلمى التي انفجرت في البكاء، ونظر الناس الموجودين في المكان إليهم، ثم أعادت النظر إلى أحمد وقالت بلهجة شديدة.

- كيف يمكننا أن نصحح هذا الوضع يا أحمد.

- - لا أدري.

- كنا عند الطبيب اليوم، لم نستطع فعل أي شيء.

- - أنا لا أعرف أي شيء عن الحمل، انظري يا مريم أنا أخطأت وهذا خطأي بالكامل وأنا معترف به، لكن لا أعرف ما الذي علي فعله، حقا.

- لا شيء، ستذهب بعلبة من الشكولاتة غدا إلى أستاذ سامح في المنزل وتطلب يد سلمى.

نظرت سلمى بأسى إلى مريم ثم إلى أحمد.

- لن يتعرف عليك أو يسأل عن أهلك وفصلك، فهو يعرفك كما يعرفني ويعرف سلمى.

- - ماذا لو رفض؟

- لماذا قد يرفض المهندس أحمد عامر زميل الدراسة الذي يعرفه منذ أن كان طفلا ويملك شقة جاهزة في عمارة أبيه في الشارع الخلفي لشارعهم، والذي ستصر سلمى على إنه حب حياتها؟

- - ولكنني لست جاهزا الآن.

- أحمد، ربما أنت لست جاهزا الآن، ولهذا فالمباحث قد تعرف كيف تقوم هيّ بتجهيزك!

******

كان باب غرفتي الأشبه بأحد محال العتبة من كثرة الكراكيب والهدوم مفتوح نصف فتحة، أرى من خلالها أنا ومريم أحمد يجلس على كرسي الصالون أمامه أحد علب الشكولاتة الفاخرة، كانت مريم محقة وكأن أبي كان منتظر تلك اللحظة منذ زمن، تذكرت اللحظة التي دخلت فيها على مريم غرفتها وأنا غارقة في دمي وعرقي، ابكي وأقول لها إن أحدهم اغتصبني بشكل ما، لا استطيع أن أفسر ما الذي حدث أو كيف، وأنني حامل ولا استطيع أن أقول لأحد لآنه وبالرغم من كل شيء فإن حياتي ستنتهي.

كيف واجهت هي الخبر واحترمت إنني لا أريد أن أقول لها تفاصيل لأن حكيها يزعجني، وإنه ليس شخصا من الشارع أنني أعرفه شخصيا احترمت إنني لا أريد

أتخاذ أي أجراء قانوني تجاه ذلك، سأذهب إلى طبيب نفسي ليساعدني على تجاوز الأزمة، وأحضر بعض الندوات وجلسات الدعم من المتعافين، وكان الأمر سينتهي.

قالت لي أمي ذات يوم في لحظة تجلي، إنني ست ولّادة، فقد حملت في أخيكِ منذ ليلة زفافي، أتعلمين إن كنت تركت نفسي دون موانع حمل لكنا في حديقة حيوانات، وأنا أيضا يا أمي أعتقد أنني كذلك، عندما تتحول دورتك الشهرية التي لطالما لعنتها طوال حياتي إلى طوق النجاة الوحيد لك، لم تأت هذا الشهر انتظرت اسبوعين، ثم كان علي أن اجري اختبار حمل في المنزل، لم أكن أعرف ماذا يشير الموجب والسالب، استعنت بالإنترنت لأجد أنني أحمل في أحشائي قطعة من هذا أحمد عامر.

كان كل شيء عاديا في هذا اليوم يا مريم، أنتِ تعلمين أنني وأحمد نعمل في هذا المكتب الخاصة بالتطوير منذ عامين، كنت قد تركت الفلسفة منذ زمن وتعلمت لغة برمجة على أمل أن أجد فرصة سفر في أحد الشركات العالمية يوما ما، نحن مخطئون يا مريم و يا أحمد لم تكن يوما الفلسفة ولا الفيزياء هما أم العلوم، كانت البرمجة!

حدث كل شيء سريعا، كنا وحدنا ثم حدث هذا كنت مُخدرة ولكنه دون أي مخدرات، لم أكن راضية عن هذا كنت متزعجة ولكنه كان الأقوى كان الأكثر تحكما، حدث كل شيء سريعا، أنا أسفة يا مريم، أسفة جدا.

احتضنتني مريم وقالت أنني ضحية له، كما ظلت هي ضحية له لمدة خمس سنوات، وأنها تشعر بالأسف على هذا القرار التي اتخذته هذا فقط من أجلي، فقط تزوجيه ثم لكي ما شئت احتفظي بالطفل أو لا، هذا خياركما، أعلم كم هذا قاسٍ ولكم تمنيت أن تختاري أنتِ الشخص الذي تحبينه وتتزوجينه، وأن أحمد لم يكن

أبدا الشخص الذي تفضليه لبقية عمرك، يمكنك طلب الطلاق فيما بعد لا تخافي، سأذهب معكِ إلى الجحيم إن أردت، ولكن الآن يجب أن نفعل الشيء الصحيح.

كان أبي يقرأ الفاتحة مع أحمد، هل علي أن أخرج بالعصير الآن، نعم أمي تناديني من المطبخ، ثواني يا مريم لا تتحركي سآتي سريعا.

كان فستاني القصير المرسوم عليه ورود كثيرة لزهرة عباد الشمس يطير قليلا بسبب الهرولة من غرفتي إلى المطبخ حيث تقف أمي بصينية عليها ثلاث أكواب من العصير، أشعر بوخزة خفيفة ورعشة في أسفل عنقي تنتابني، أنا قلقة جدا جدا لدرجة أنني لا استطيع حمل الصينية، تنظر لي أمي وتقول لي إنه بلاش دلع، احمل الصينية وأذهب حيث يجلس أبي وأحمد، ثم أضع الصينية بتوتر وأجلس بجوار أبي، يحاول أبي كسر الثلج فيقول أي كلام.

- نعرفك يا أحمد قبل أن يخط شنبك.

- - نعم يا عمو.

- كنت ولا زلت نعم الشاب، لن نجد لسلمى شاب أفضل منك، ما رأيك يا سلمى.

- أقول بصوت مرتعش

- - بالطبع يا بابا.

- اتفقنا أن يأتي مع والديه الخميس المقبل، لا داعي لتلك الأشياء الرسمية فنحن جيران وسنبقى أهل، أتعلم الجمعة الماضية غلبت والده على القهوة في الطاولة ودفعته الحساب كاملا، أه والله.

- ضحك أحمد ضحكة مرتبكة، جاءت والدتها من المطبخ بصينية أخرى بها قطع من الجاتوه وأطلقت زغرودة وصلت إلى القمر، نظرت سلمى إلى الباب الموارب لغرفتها فوجدت مريم تبكي، وحينها علمت إن وقتها انهيارها قد حان.

******

لم نحتاج أكثر من شهرين لتجهيز كل شيء، والدا أحمد محافظين بشدة لذا عرضا على أبي أن نكتب الكتاب سريعا، كان شيئا في مصلحة الجميع بالطبع، نحن نعرف بعض منذ أكثر من عشر سنوات، وافق أبي دون تردد، كانت الشقة التي سنسكن بها فوق الشقة التي كان يسكن بها أحمد مع والديه شبهه جاهزة، كان وعد أبي لي طوال عمره صحيحا عندما كنت أسأله لماذا لم تشتريا لي أنت وأمي أشياء أضعها في الجهاز، يقول بشكل ساخر انوي أنتي وانا أجهزك في أربعة وعشرين ساعة، في الواقع كانا شهرين وليسوا أربعة وعشرين ساعة يا أبي.

حجز أحمد أحد الجنائن الخاصة بفيلا فاخرة من أجل الزفاف، كان الزفاف بسيطا هادئا نحن فقط، وبعض أصدقاء الجامعة، والجيران والأقارب، أقول لمريم هل الفستان يظهر بطني، تقول لي برقة أنني أغرب فتاة حامل في العالم أين بطنك يا ابنتي؟ الفستان رائع عليكي، أنتي أحلى وأرق عروس رأيتها عيني..

وأنتي أحلى وأرق صديقة في الحياة

كان الزفاف لطيفا، رقصت مع أحمد على أغنية اعتدنا سماعها نحن الثلاثة عندما كنا في الجامعة، ثم قطعنا الكعكة وتلك الإجراءات المعتادة في الأفراح، لم ألق ببوكيه الورد فضلت أن أهديه شخصيا لمريم وأن أوصي الدي جي أن يشغل لها أغنيتنا الخاصة التي كنا نسمعها منذ أن وجدنا بعضنا البعض، كنت أرى في

عيون مريم فرحة حقيقية، ربما لآنها تراني فرحانة، ربما لآنها ترى أنها فعلت الصواب، أو ربما إنها نست أحمد بالفعل.

سنذهب معا إلى أخر العالم يا مريم، لا مزيد من الجحيم، ربما سنجلس على القمر بمفردنا نغني أغانينا المفضلة وندلدل أقدامنا على خط الأفق، نتذكر كل وعودنا الوردية، وتهديداتنا بالقتل لكل من مقتونا ومقتناهم يوما.

يا مريم.. سنجد بعضنا دوما.

******

كانت أنفاسه المتلاحقة على وجهي تشعرني بالسُكر، لم أجرب الخمر يوما ولكنني ها هو أجرب قُبلة وحضن انتظرتهما منذ أن كنت في السادسة عشر من عمري، كان أحمد هو حبي الوحيد، لم أحب أحدا في العالم غيره، ولم يحب أحدا في العالم غيري، اعترف لي بحبه في رسالة على الهاتف بعد وقت قليل من معرفته لنا لم يستطع أن يقولها لي مباشرة وأنا الذي أحاول بشتى الطرق أن أقوم بإخفاء اعجابي له بأن أكون سخيفة وغير مهتمة.

كلما تكلمت مريم عن حبها لأحمد، كلما ازددت كرها لذاتي، كلما تحدثت عن كل تلك الليالي التي لم تستطع فيها النوم بسبب إضاءة غرفته المغلقة لأننا كنا نشاهد أحد الأفلام في السينما أو نأكل الأيس كريم في الشوارع، كلما لعنت نفسي ولكنه الحب يا مريم لا نستطيع منع هذا، قلوبنا ليست لنا.

كان علينا التصرف سريعا، مرت عشر سنوات وكل الناس يعرفون أننا معا عدا مريم، كانت تعرف أننا مجرد زملاء في مكتب واحد، في اليوم الذي جئت فيه مريم عشاءً ابكي كأخوة يوسف، كان أحمد قد قدم لي خاتم الزفاف في البيتزا التي

طلبناها في المكتب، أمام الجميع، انحنى ثم قال: تتزوجيني يا سلمى. لم ينتظر إجابة ووضع الخاتم في إصبعي ثم حضنني لأول مرة منذ عشر سنوات.

كنت أراكي من وراء كتفه تبكين عند إحدى الحوائط وحدك، لن أفعل هذا بكي يا مريم، كنا نذهب إلى الجحيم سويا، لن أتركك هناك وحدك.

لم أرى أحمد ينفعل ويتركني في الشارع كهذا اليوم، قال إنه تحمل الكثير، كان يحاول إبعاد الشبهات عن إننا معا أمامها طول الوقت بأن يحاول أن يبدو يعاكس تلك أو يريد أخذ نمرة تلك، ولكنني لن أفعل هذا بكي، ولا بسمعتي، ماذا لو لم تصدق، ماذا لو أبلغت الشرطة أنتي مجنونة؟ سأذهب إلى أبيكي كأي شخص عادي يا سلمى وأطلب يدك.

هذا هو أخر طلب لي يا أحمد أرجوك، مرت عشر سنوات وانت تفعل كل شيء من أجلي، أرجوك افعل هذا من أجلي مرة أخرى، مرة واحدة فقط، سيكون بعدها كل شيء على ما يرام، أتتذكر وجدنا نحن الثلاثة بعضنا، أرجوك اجعلنا نخرج من هذا ثلاثتنا ونحن منتصرين، لن اتحمل خسارتها، أرجوك.

كانت انفاسه تزداد حرارة، قال لي بصوت متقطع، هل أخلع لكِ الفستان الآن، نظرت إليه ثم قلت ثواني، ذهبت إلى زر الإضاءة وأغلقتها.

أعرف إنكِ ترينا الآن يا مريم، ولا أعرف ما الذي قد يشعرك بالحزن الآن، إن كانت الإضاءة مفتوحة أم مغلقة، أنا أسفة يا مريم ولكن لا بد أن نغلقها من أجلك، فلتنامي الآن بسلام وهدوء ولتغلقي الشباك والصفحة للأبد.

❊ ❊ ❊

السفر عبر الزمن

تأليف / كريم الغباشي

ماذا لو كان السفر عبر الزمان ممكناً؟

وماذا لو استطعنا أن نرجع في الماضي فنغير أشياء كثيرة لم نكن نريدها!

هل لو قتلتُ والدي في الماضي يعني هذا أنني سأختفى من الحاضر!

ولكن لابد أن أجد طريقة ما لأغير الماضي فيترتب على ذلك تغير المستقبل، لو قتلتُ من اخترع المصباح الكهربائي هل سيحيا العالم في ظلام حالك؟

أسئلة كثيرة تدور في عقلي ولن يهدأ لي باله حتى أسافر عبر الزمن ، جلست طيلت الوقت أبحث في كل مكان عن طريقة تجعلني اتأكد أن العودة في الماضي ليست محضًا من الخيال بل من الممكن أن تصبح حقيقه ولكن كل ما عرفته أنه من المستحيل الرجوع إلى الماضي ولكن من الممكن أن أسافر إلى نقطة افتراضية بالتزامن مع نظرية "ميكانيكا الكم "او من خلال نظرية "جسر اينشتاين روزين" فكرة السفر هنا تأتي عن طريقة تمدد الزمن هذا ما جعلني اتعلم علوم الفيزياء وعلمت بأن الطريقة هذا تسمى نظرية (النسبية) وتأكدت منها حين صعد رجلين من رواد الفضاء وتم ملاحظة هذه النظرية من خلال جزء من الثانية من خلال ساعة اليد

ما كنت احتاجه فقط هو أن أذهب في جوله ذهابًا وإيابًا بسرعة تماثل سرعة الضوء ولكن من أين أحصل على هذه الامكانيات لا أعلم.. حتى تعرفت على صديقي "عمار " أخبرته بهذه التجربة، نظر إليَّ وقتها بسخرية قائلاً:

- هل ما زلت تشاهد أفلام الكرتون

- أنا اتحدث بجدية من الممكن أن اسافر عبر الزمن

جلس بجواري وهو يقول :

-إن اقتنعت برأيك من أين تأتي بالمعدات التي ستساعدك في هذه الرحلة من أين ستأتي بالشخص الذي سيقوم بالتجربة إلا إن كنت أنت هو الشخص!

- نعم أنا أحب المغامرة

- ولكن هذه المغامرة من الممكن أن تفقد حياتك فيها

- تعلم منذ أن قرأت رواية" هربرت جورج ويلز" وانا أريد أن استخدم آلة الزمن وأعبر هذا العالم

سمعت ضحكاته الساخرة وهو يقول:

- هل تعي ما تقول هي رواية خيالية ليست من الواقع

- لاء من الممكن أن تحدث صدقني هل تذكر القصة القصيرة التي كتبها" ادوارد بيج ميتشل "

حك رأسه وهو يقول:

- نعم أذكرها كانت هذه القصة بعنوان" الساعة التي ذهبت إلى الخلف "

-نعم وغيرها من القصص

قاطعني قائلاً :

- هي قصص يا صديقي ليست من الواقع

- أعلم ذلك ولكن لو تعرفنا على الزمن في حقيقته سنعلم أن أصحاب هذه القصص لم يكونوا يكذبون ماذا لو أنهم استطاعوا أن يعبروا المستقبل وقاموا بتأليف هذه القصص؟

رجع" عمار" إلى الوراء وهو يقول :

- لا يبدو أنك قد جننت خيالك هذا سيأخذك إلى الهلاك

- لك أن تعلم أن الزمن له أبعاد تسمى الأبعاد المكانية الثلاثة بمعنى أن الزمن و المكان مرتبطان ببعضهم ولكن من الممكن أن يصبح هناك البعد الرابع

جلس" عمار" وهو في دهشه ثم قال مستغربا ً:

-كيف علمت كل هذا! أنا حتى لا أعرف ما هو البُعد الرابع هذا؟

-الأبعاد بصورة بسيطة لك أن تتخيل انك تذهب يميناً ويسارًا تسقط إلى الأسفل وترتفع إلى الأعلى تركب الطائرة كل هذه أبعاد ومن الممكن أن نستخدم البعد الرابع أيضا وتذهب عبر الزمان

قاطعني وهو يحاول أن يتماسك على ألا يضحك:

- أعذرني يا صديقي لن استحمل ما تتفوه به دعك من هذا الهراء أنت تعلم جيدا إنك لن تصل إلى سرعة الضوء المطلوبة مهمها جرى وخصوصاً أن السرعة التي تحتاج إليه هذه لن تجدها على وجه الكرة الأرضية

قلت له:

-أنا أعلم ذلك جيدا ومن قال إنها على وجه الأرض

قال متعجبا:

- ماذا لا تخبرني إنك ستسافر إلى الفضاء

- ولما لا

- وكيف ستفعل هذا؟

- سأخبرك لاحقاً

أمسك بيدي وهو يقول :

- انتظر قليلاً أريد أن اتحدث معك

- تفضل

- سؤال حيرني أكثر من مرة هو قريب من موضوعك

- وما هو؟

- هل ما نعيشه الآن حاضر أم ماضي!

تعجبت من سؤاله فقلت له :

- بالطبع نحن نعيش الحاضر والبارحة هي الماضي وغدا المستقبل

تبسم قائلاً :

- أعلم ذلك ولكن أرى أننا نعيش الحاضر ونرى الماضي أيضا

حديثه شد انتباهي فاعتدلت في جلستي وأنا أقول له:

- أخبرني كيف هذا؟

- جزئية الضوء التي تحدثت فيها في بداية حديثك الجميع يعلم أننا نرى بالضوء الذي ينعكس على الشكل فتراه عينك أليس كذلك؟

- بلى

- هذا يعني أنك لا ترى الشكل أمامك في وقته بل أنت تراه بعد مرور ٦٠٠٠٠٠٠ ثانية! ينطبق هذا الحديث على النجوم أيضا كلما زادت المسافة كلما كان هذا الشكل في الماضي البعيد

لم أركز في معظم حديثه فقلت له :

- رجاء أعد ما قلت

تبسم وقال ساخرا :

- ما الذي حدث لك يا صاحب آلة الزمن لابد أن تركز جيدا هل تعلم كم تبعد الشمس عنا

- لا أعلم

تأفف وهو يقول لي :

- لا تعلم كم تبعد مسافة الشمس عنا وتريد أن تعبر الزمان على العموم الشمس تبعد عنا ٨ دقائق ضوئية مما يعني أن الشمس إن اختفت الآن لن نعلم إلا بعد ٨دقائق، يعني هذا أننا نرى الماضي ونحن في الحاضر

- تعلم فكرت في الأمر أنت على حق مجرة " المرأة المسلسلة اندر وميدا" أعلم أنها تبعد عنا ٢مليون سنة ضوئية هذا يعني أيضا أنها إن اختفت لن نراها إلا بعد ٢مليون سنة ضوئية! وهكذا النجوم أيضا ، يختفي نجم ونحن نظل نراه هذا يثبت ما قلت اننا نحيا حاضر ونرى الماضي بأعيننا.

قال مبتسما :

- دعك من كل هذا هيا لنحتسي بعض من الشاي

كنت أفكر في حديثه طيلت الوقت هو على حق ولكن أريد أن أثبت للعالم أجمع أنه يوجد سفر عبر الزمان، كنت كل يوم اتصفح الجرائد الأجنبية لكي أعثر على أي إعلان لمتطوعين حتى وجدته بعد عام كامل وأنا أبحث، كانت وكالة ناس الفضائية المختصة بعلوم الفيزياء والفضاء بشكل عام تعمل على أبحاث علمية وتريد متطوعين لا أخفى عليكم سرا المبلغ كان كبيرا جدا ليجعلك توافق دون النظر إلى الخطورة التي ستحدث إن فشل الأمر ولكن هذا حلمي ولن اتخلى عنه هذه هي الفرصة، أرسلت لهم أنني أريد أن أخوض هذه التجربة الممتعة ولكن لم تكن عن السفر عبر الزمن بل كانت في موضوع آخر وهو كيف يكون شعور الميت عندما يفارق الحياة.

سافرت إليهم على نفقتهم الخاصة كان أبى يرفض ذهابي ولكن هذا حلمي أنا ولابد أن أحققه.

كانت المباني مثل ناطحات السحاب الغرفة التي دخلتها كانت باللون الأبيض تبدو كالمعمل.

مرت أسابيع قليله وأنا أجلس هناك حتى آتى يوم الاختبار وتجربة النظرية.

دخلت الغرفة التي ستقام به التجربة كانت غرفة كبيرة لا يوجد بها غير ذراع كهربائي بحجم الغرفة موصل بالكابلات الكبيرة صعدت ولجت داخل الذراع ثم أغلقته بإحكام قام بعمل لفة سريعة جدا تتخطى أي شيء على وجه الأرض من شدة سرعته مما جعلني أفقد الوعي أو كما

يقولون أتوفى لثواني معدودة ولكن أنا لم أشعر بشيء إلا أنني كنت أحلم فقط.

بعد التجربة طلبت مقابلة العالم" شانون سيد" من أكبر العلماء هناك أخبرته بما أريد فعله رحب بالفكرة وكان فخورا جدا أنني لا أخاف المغامرة ووعدني أنه سيتكلم مع الوكالة بخصوص هذا الموضوع مر عام كامل حتى أتت رسالة منه عبر حسابي الخاص على الفيسبوك كان يخبرني أنهم وافقوا على تنفيذ المحاولة ولكن لابد أن يتم التوقيع على عدم مسؤولية الوكالة الفضائية في حالة وفاتك، لم أكترث لوفاتي فأنا عديم الفائدة ولكن إن فعلت هذه التجربة سيُذكر اسمي في التاريخ ولن أصبح رقم وسط الدفاتر بعد اليوم ، أخبرته أنني أوافق على التجربة ومرت الأسابيع حتى طلب مني أن أسافر إليهم مرة أخرى ولكن هذه المرة كنت متحمسا جدا تكلمت مع فريق العمل الذي سيصعد بالمكوك الفضائي كانوا متحمسين للفكرة أيضا وقاموا بوضع ميكروفونات صغيرة الحجم مثبته بشكل جيد وكاميرات بث مباشر أعلى الخوذة.

كان" وليم "رائد الفضاء خائف عليَّ جدا لدرجة أنه نصحني كثيرا أن افكر في هذه التجربة فمن الممكن أن أفقد حياتي ولكن الوقت لن يسمح لأن أرجع في كلامي إصراري هذا ما دفعه إلى إكمال الرحلة رأيت الفضاء وللمرة الأولى كنت أتساءل لما سُمي بالفضاء رغم أنه مليءٌ بالكواكب والمجرات والنجوم يبدو أن الذي سمى هذا الاسم لم يصعد إلى هنا من قبل!

تم الاستعداد لتصوير التجربة .. انتابني شعور بالقلق وسريعا ما ذهب.. رأيت بعيني الثقب الأسود ذو الظلام الحالك أو كما يقولون المكنسة الكونية التي تبتلع كل شيء، تم تحديد موعد الانطلاق، أخذت لعبة كنت أحبها معي في يدي استعداداً للقفز كانوا على اتصال معي وأنا اقفز ولجت داخل الثقب العجيب هذا والغريب في الأمر كنت أشعر بأنني أنزل داخله بسرعة تحولت فجأة إلى بطء شديد، كنت أرى الطاقم الذي معي بعيني وأنا داخل الثقب لا أعلم كيف كنت أسمع حديثهم جيدا شعرت أنهم لا يسمعون ما أقول.. سمعت أحدهم يقول :

-التجربة فشلت لقد أحترق!

قلت علي الجهاز من الذي احترق أنا موجود هنا أسمعكم جيداً

لم يُجب عليَّ أحد أراهم بعيني وأنا أنزل بسرعه عبر هذا الثقب لا أعلم أين نهايته، قطع الاتصال بيني وبين الطاقم ورغم ذلك ما زلت أسمعهم نزعت السماعات ولكن ما زلت أسمعهم بوضوح !

غادروا الموقع وبقيت أنا داخل هذا الثقب اللعين لا أعلم له نهاية غير أنني تأكدت انه لا نهاية له!

لك ان تصدق ما أقول أو تكذبني ولكن هي الحقيقة ، أنا انتظر حتى الموت، ولو عاد الزمان بي ما كنت اقترفت هذا الخطأ.

❊ ❊ ❊

الرسالة

تأليف: هويدا أبو سمك

وضعت «ليلى» الرواية التي في يدها بعنف على الطاولة أمامها، فالنهاية كما توقعتها تماما، تسير بالمنطقية الحتمية البلهاء لكل الكتاب، ينتهي سوء التفاهم بين الأبطال عادة، ثم يعيشان معا في سعادة وهناء.

لم تطل التفكير في أحداث الروايات التي أصبحت تجد فيها تسليتها، وأسرعت تستعد لارتداء ملابسها، حيث أصرت والدتها على أن تشاركها هذا اليوم، رغم إلحاحها الشديد بأنها لا تريد أي احتفال.

اليوم هو عيد ميلادها الـ ٢٥، ومازالت والدتها ترى أنها فتاة شابة تستحق الاحتفال، والسعادة، وأكدت على حضورها إلى منزل الأسرة، ولا تعرف ليلى ماذا ستقول والدتها عندما تخبرها عن الرسالة التي استقبلتها منذ يومين وحتى الآن لم تقرأها.

صورتها في المرآة تبدو مثالية، تعكس زوج من العيون أهلكها الحزن، بينما تبتعد استقامة حواجبها عن واقع حياتها، ولم يشفع لها جمالها بل لم يكن أبدا بوصلتها للوصول إلى السعادة.

صوت بكاء متضاعف من الغرفة المجاورة جعلها تتيقن أن طفليها التوأم قد استيقظا مبكرا عن العادة، فأسرعت إليهما تحاول استخدام بعض الكلمات التي قد يستجيب لها طفلين في عامهما الثاني.

الحضن هو الحل السريع والفعال في حالتهما، فدائما ما يقدم لها نتائج سريعة وفعلية، رغم أنها لا تنكر أبدا أن الأمر كان لا يطاق في العامين الماضيين، قضت أيامها مستيقظة تبكي من التعب، ودخلت في دوامة الفحوصات والتحاليل التي سرعان ما انتهت بكارثة أخرى.

فكرت كثيرا في سر هذا الحب الفطري غير المشروط الذي دخل قلبها من لحظة رؤيتها لطفليها، ولم يتغير أبدا بعد ذلك، ولم ينقلب قلبها أو عقلها لمجرد أن الحلم تعكر أو لطخته بعض الشوائب الوهمية.

قررت أن تعد طفليها للخروج قبل أن تكمل زينتها، وكانت تلك متعة خاصة لها، في بعض الأوقات تختار لهما ملابس متشابهة، وأوقات أخرى تحاول أن تجعل لكل منهما عنوان خاص به.

بكت كثيرا في الشهور الماضية، ولكنها أدركت بعد ذلك أن البكاء لن يغير شيئا، بل قد يحرمها من رؤية طفليها، ويصبحان وحدهما في عالم قاسي يخبئ لهما الكثير.

ولكن ماذا تفعل في جمل حفرتها الأيام في عقلها وقلبها ولم تترك لها مجالا لنسيانها، كيف تستطيع المرأة أن تهرب من واقع مؤلم فرض عليها، النوم لا ينفعها، بل عقد صداقة مع الكلمات المحرمة التي تحاول جاهدة أن تحرقها وتلقي بها بعيدا، ولكنها تمد جذورها داخلها ولا تموت.

«لن أستطيع، أنت قوية بينما أنا لست كذلك، كيف سأتعامل وأنا في بداية حياتي مع طفلين غير طبيعيين، أنت ترين فيهما نعمة وأنا أرى فيهما مستقبل مظلم لا أمل منه»، كلمات زوجها الهارب الذي تركها ورحل دون أن ينظر ورائه للحظة.

في البداية ظنت أن كلماته نتيجة الصدمة، وأن حبيبها سرعان ما سيعود إلى عقله وسيعتذر لها ولطفليها، وسيساندها في الحياة، وسيرى في طفليهما ما رأته هي من اللحظة الأولى، ولكن ما فكرت به لم يتحقق.

ظل بعيدا لأيام، وامتدت الأيام لأسابيع، حتى استيقظت في صباح يوم ما لتعرف أنه تركها وسافر، كانت الصدمة قوية، لم يستوعبها عقلها حتى هذه اللحظة، كيف يتركها، كيف يتخلى عنهم؟!.

«بلهاء»، هكذا تسميها شقيقتها الكبرى، المغفلة الصغيرة التي لم ترى الحقائق الواضحة، كل الأسرة كانت تعرف انه سيفر هاربا، وأنه أضعف من أن يتحمل هذه المسئولية.

بيتها انهار، حياتها تدمرت، كل الآمال التي عاشت عليها انتهت سريعا، والكلمات المعسولة التي سمعتها منه طويلا تبخرت بسرعة البرق، عند أول اختبار حقيقي يقابلهما معا.

كان نذلا حقيقيا، ينظر إلى صغيريها بكره شديد، ويحملهما ذنب وضعهما الصحي الذي لا حيلة لهما فيه، وقح لدرجة أنه لم يفكر أن يحمل أيا منهما ولو مرة، وعندما تأكد من الفحوصات أن لا أمل لحياة طبيعية لهما، أزاح الستار عن وجهه القبيح، وقتل احترامها له، وفر كالجبناء.

منذ أمس وهي تفكر ما الذي يجعله يبعث لها رسالة جديدة، وهو الذي طلقها دون تردد، خلال الساعات الماضية وهي تحاول أن تجد مدخل لعائلتها لتخبرهم عن الرسالة التي لم تقرأها حتى الآن.

لا تنكر أنها فكرت في إنه قد يكون غير رأيه وحن لطفليه ولها، ولكنها أزاحت هذه الأفكار التافهة عن عقلها سريعا، لقد قال كلمته منذ اللحظة الأولى، وهل بعد ما فعله هناك شيء يقال.

عندما أنهت زينتها عادت لغرفة الطفلين لتاتي بحقيبتها، فإذا بها تجدها مفتوحة على مصراعيها، وأخرج الطفلين الرسالة، وحولاها إلى قطع صغيرة لا أمل منها.

❊ ❊ ❊

البِنَايَةُ الشَّيْطَان

أيها البؤساء عاقروا أحلامكم الصغيرة!
واصلوا البحث؛ غدا تفتح الأبواب.

تأليف/ حسن كشاف

منذ أن فتحت عيني في هذا الحي القريب من الغابة، وأنا أشهد تلك الصراعات التي تكاد لا تنتهي، صراعات تبدأ بالتفاهة وتنتهي بالمصائب.. ما كان يزيد دهشتي هي تلك المقارنة التي لا يتوانى جدي في عقدها سارحا بخياله في نوستالجيا بائسة:

- كأن الناس أصابهم الصعار يا بني! أراهم كرسوا حياتهم لنهش بعضهم البعض، لم نكن هكذا أبد..؟ وكأن لعنة ما أصابت الناس!

وكما تعلمون أهل حينا ليست لهم مشاغل كثيرة يفعلونها؛ لهذا تجدهم يشغلون أنفسهم بتعميم ما يقع في الحي قبل متم اليوم، حتى أن أحدهم يشرع في سرد تلك القصص دون مبرر لذلك ولا سياق، وقد زادت حدة ذلك هذه الأيام، حتى تُجُوِّزَتِ النقاشات إلى مراهنات ما تنفك أن تتحول إلى صراعات وخصومات، والسبب بناية جديدة عملاقة، شرعت السلطات في تشييدها..

كانت أحلام سكان حينا تكبر كلما كبرت هذه البناية وشقت طريقها إلى عنان السماء، هذا يريدها ثانوية، والأخر يتجاوزه إلى الجامعة، آخرون يرجحون رأيهم بكونها مستشفى عملاقا، مستندين في ذلك إلى وعود السادة البرلمانيين.. ولأن أصحاب الافتراض من كبار السن والعجزة؛ فقد كانت غالبية الساكنة تنحو منحاهم، باستثناء أمي كانت تريدها شركة، أو حتى معملا يجعلني أستقيل من شغل وظيفة مراقبة العبارين والعابرات عند نهاية الزقاق، لكنني تمنيتها كالعجزة، مستشفى أعالج فيه أمي من أمراض كثيرة فرضها التقدم في السن وساعد في تأجيجها مطرح نفايات المدينة المجاور للحي.

ولأننا مشوشين وننفعل بسرعة، كانت جل هذه النقاشات تتحول إلى معارك.. فكان إشعال فتيل النار والخصومة بين اثنين أيسر من شرب كأس ماء عذب، مهمة اضطلع بها "احْمد العْوَرْ" شكل كوخه البلاستيكي محج جل شباب الحي؛ ولأن البناية موضوع الساعة فلا محيد عن الخوض فيه. قال أوسطهم وقد لقبوه ب"الرِّيَّالِي" لأنه يحب الفريق أكثر من أسرته:

ـ آه.. لو كانت ملعبا! أو حتى قاعة رياضية مغطاة! لخرج من هذا الحي أبطال في كل الرياضات

يرد آخر من خلفه متهكما:

- وماذا نفعل بالقاعة يا ذكي ؟! نأكل أطرافها الإسمنتية !! ..ستكون معملا لا شك في هذا ونظر إليهم واسترسل واثقا: فلتؤمنوا بنبوءتي يا جماعة !

ـ هيء.. هيء.. سيدشنون "برنابيو" جديدا بدُوَّارِنَا، لا بل المعمل الدولي للزعفران ها..ها..ها.. كان هذا "احْمَدْ الأعْوَرْ" متهكما.. ثم وجدا نفسيهما أمام الدركي قد صفدت أيديهما بالأغلال، ودمائهما تسيل وكأن جيش ضباع جائع قد عبث بهما.

ولأن الدركي شديد الانفعال هو الآخر، فقد طفق يزمجر ويكيل لهم وابلا من السباب:

ـ ألن نشتغل إلا بخصوماتهم التافهة أيها الحمقى!

أحدهم يتململ في مكانه محاولا الرد لكنه ردعه:

- أنت قف مكانك وأغلق فمك النتن.. أما أنت أيها الديك المكسيكي؛ حاذر أن أرى وجهك اللعين هنا مجددا!

ترجل من مكتبه نحوهما مزيلا أصفادهما، وهامسا في أذنيهما بصوت خافت:

ـ لا تتقاتلا مرة أخرى على شيء سيكون سبب شقائكما هيء..هيء.. وأشار بيده نحو الباب، قبل أن يركل مؤخرة أحدها بينما تفاداها الثاني برشاقة، متوعدا إياهما في حالة العود..

انتهت الأشغال أخيرا، لكن الاحتمالات ما تزال مستمرة بين ساكنة الحي، في الوقت الذي شرع أعوان السلطة في الترويج لافتتاح البناية، طلبوا من الجميع الحضور، لا أريد التصريح بأنهم تجاوزا الترغيب إلى الترهيب، لأنكم تعرفون عواقب ذلك..

تجمهر سكان الحي بمختلف أطيافهم، تقدم أحد أصحاب ربطات العنق ليلقي كلمة الافتتاح.. ووقف الجميع مندهشين:

- أليس هذا هو السيد بن كي..؟!! أليس نفس الرجل الذي انتخبناه ؟!

ـ بل هو بشحمه ولحمه.. غير أن لحيته ابيضت.. وبطنه انتفخت.. صاح أحدهم من الخلف..

ـ إنه هو.. رغم هذا التغيير الذي لحقه، فأنا أستطيع تمييزه من بين ألف رجل!

رجل يجلس في المقدمة يصفق بحرارة، يلتفت نحونا، يدعونا لكي نحذو حذوه، كان إمام حينا..

في تلك اللحظات خاطبنا الرجل المهم الذي لم أتعرف على هويته لحدود الساعة بكلمات كبيرة، بدلت جهدا كبيرا للربط بينها، غير أنني لم أفلح، قبل أن يتقدم نحو ستارة كبيرة غطت الجزء الأوسط للبناية من الأعلى إلى الأسفل، يبذل جهدا لجرها، تتهاوى أخيرا، وينكشف باب حديدي عملاق.. أعلاه كتب عنوان كبير براق تهجيت حروفه "السج..ن المد..ني الم..حلي"

ساد الهرج والمرج.. شاب بجانبي يتلفظ بعبارات كثيرة، لا يصح كتابتها هنا، وجهها إلى الرجل المهم.. في الوقت الذي صاح "بوعزة" المجنون من الخلف؛ وقد رمى نعله في اتجاه المنصة:

لصوص..!! خنازير..! _ تجار دين ..! لصوص ...خنا..."

هراوة أحد رجال الأمن تحول دونه والشتيمة الأخيرة. تصفيقات تأتي من الصفوف الأولى، وينطلق التدشين بالتصفيق الحار..

❊ ❊ ❊

الضُرَّة

تأليف / رمضان سِلْمِي بَرقِي

وقت الشروق؛ الشُخب يرتدفه الشُخب، تحت سطح مُعَرَّش بجذوع الشجر اليابسة والبوص؛ منتصبةٌ الجاموسة لا تتململ قيد أنملة، غائصة حوافرها بالروث، تتأمل الجدران المتصدِّعة ذات الطوب اللبن من حولها، مستسلمة لأطراف أنامل صاحبتها.

عن مقربة؛ بدتْ صاحبتها امرأة بعقدها الثالث من العمر، مليحة التقاطيع، منحوت جسمها في جلبابها الفلاحي الأزرق الضيق، مقرفِصة أسفل بطن الجاموسة؛ تُفرغ ثديّها من وجبة اللبن الصباحية.

يتماوج على أُذنها صراخ طفل قادم من بعيد، ونعيق غربان فوق أشجار السرو والنخيل بالخارج، ونباح كلاب متقطع، فلا تعُدْ تميّز الأصوات من بعضها البعض. لربما استيقظ أحد الولدين؟ فكرت متسائلة، ثم واصلت حلب الجاموسة. سأُجهز لهم اللبن ما إن أنتهي من الحليب. هكذا قررت، وبعد دقائق انتهتْ.

حملتْ الإناء بين يديها وخرجت فتفرَّقتْ الدجاجات منقنقةً أمام خطوات قدميها، دلفتْ إلى غرفة صغيرة داخل فناء البيت، وفوق مصطبة طينية وضعت الإناء، وأمسكت بقربة كانت في إناء آخر؛ فكت رباط فتحتها،

سكبت بها اللبن وبقَّت القليل بالإناء، ربطت القربة، وحملت الإناء الآخر وخرجتْ.

دلفتْ صوب عُشة قريبة واسعة، دخلتها، فإذ أمامها الفُرن وغير بعيد عنها الكانون الطينيين.

وضعت الإناء فوق الكانون؛ لقَّمَتْ الكانون بقِطَع جلَّة من الكومة بجوارها، تناولت عُلبة كبريت من أحد شقوق الجُدران، قرفصتْ، أشعلت النار، عادتْ إلى الخلف، أسندت ظهرها إلى الجدار ذي النتوءات الطيني، أراحت عجيزتها أرضاً؛ تربَّعَتْ وعيناها مفتوحتان لا ترمشان، وتنعكس بحدقتيها البنيّتان نار الكانون وهي تتوهَّج وتتلوّى!

أهي زوجة أم خادمة؟ لا تعرف!

أحياناً تشعر بأنها زوجة؛ شعور لا تزيد مدته عن خمس عشرة يوماً، هي مدة بقاء زوجها عندها، وبعدها يعد من حيث أتى؛ بيته الآخر، عند زوجته القديمة وأولادها الكبار.

وأحياناً تشعر بأنها خادمة، لمَّا تأتِ الزوجة القديمة من مصر إلى دارها بصحبة زوجها، تعمل لها ملبيَّة لا أكثر: اطبخي، اغسلي، نظفي؟ تعليمات من فم المرأة التي اجتازت الخمسين، تستقبلها هي بسعة صدر زائفة!

ترى بعينها، وتسمع بأذنها؛ مسامرته لها، وملاطفته، ومضاجعته لها فوق سريرها هي! ونومها في باحة البيت هي وأطفالها، والبرد يكاد يقسم ظهرها وظهرهم، وحتى تعَمُّد الزوجة القديمة رفع صوتها في الضحكات الخليعة، والتأوهات الحميمة لإغاظتها؛ كل ذلك يحدث لها، ولا ينفرج لها فم، ولا تنبو من لسانها كلمة.

ماذا يجبرني على تحمل كل ذلك؟ تتساءل بها دون أن تجب على نفسها.

ذات ليلة؛ سمعتهما يتكلمان معاً.

كان واقفًا أمام الطاقة، فاتحًا بابها الخشبي، ينظِف غدَّارته؛ سلاحه الناري ذو الطلقة الواحدة.

- طلِق "نجاة" يا "سيد" غداً؟

هكذا أَمرَتْ الزوجة الأولى، فصمَتَ الزوج لحظات وضع فيها غدَّارته على الرَّف، ثم أغلق بابها قائلًا بلهجة استرضاء:

- يا "فوزية" تلك خادمة لا أكثر، تخدمكِ وتخدمني كلما أتينا!

- هذا يعني أنك لن تطلِقها؟!

جلس بجوارها:

- إن طلقتها فالناس لن ترحمني هنا، وأنا لا أريد سمعتي أن تُمس، فأنا كبير عائلتي، وقضائي يخضع له الكبير قبل الصغير من العائلة. لا تشغلِ بالك بها، فهي لا تحرك لي شعرة، إنكِ أنتِ الكل في الكل، أنتِ الزوجة ولا غيركِ زوجة! فهي أقلها؛ خادمة تربي أولادي منها، وتسهر لراحتنا.

ضحكت بغُنج، ثم قالت بصوت مرتفع لتُسمع نجاة:

- ولماذا تزوجتها مادامت هي نكرة في عينيك؟

- لا داعٍ لرفع صوتكِ؛ أنتِ من جعلتني أتزوجها؛ من قال لكِ أن تتركين البيت وتغضبي وقتذاك؟ أبسبب مُشاجرة بين عائلتي وعائلتك تتركينني وترحلين!؟ أنتِ تعلمين أني كنت قد فقدت الأمل في عودتك،

والفتاة ليس لها أهل، تزوجتها لتخدمني، وصنعتُ فيها معروفاً، وأصبحتُ صاحب فضل عليها، وبعدما تصالحتْ عائلتينا؛ عدتِ أنتِ، واستمرت الحياة على ذلك الوضع. فلم الضَجر من حين لآخر، وأنا أتعامل معها كما تريدين!

- ولِمَّا تأتِ هنا وحدك؛ هل تظل خادمة، أم تُعاملها مثلي، وتبات في أحضانك؟

- يا ست الكل؛ لا يوجد مثلكِ بالدنيا كلِها.

وتعالت ضحكاتها، وتردد صدى القبّلات، وتساقطت دموع نجاة في صمت.

- اِعمل حسابك، سنسافر غداً، توحشتُ أولادي؟

- ان شاء الله يا أم العيال.

وتنتهي أيام زيارتها، وتصطحبه وترحل، ونجاة لم تُمس؛ خادمة لا أكثر كما قيل عنها.

وتعد إلى وحدتها ووجومها، وتعد إلى نظرات الرجال التي تجلدها تارة، وتتمناها تارة، وتضاجعها تارة أخرى.

حين طُرق بابها ذات ليلة شتاء باردة، كانت الريح شديدة بالخارج، والكلاب نباحها لا يتوقف، وزوجها مرَّ على رحيلة ستة أشهر. استيقظتْ مرعوبة خائفة، كان ولدها الأول عمره آنذاك عامين.

صفير الريح عادة ما يثير الرعب في قلبها، ويخيل لها خيالات مُخيفة، حتى في وجود نور القنديل الواهن المتأرجح على المسرج المثبَّت بالجدار؛ شعرت لوهلة أن من يطرق بابها عفريتاً، أو ربما لصاً، أو ربما...

تشجَّعتْ، وقفت خلف الباب، قالت بصوت تهدَّج رعباً:

- من بالخارج؟

لم يرد أحد، وطُرق الباب مرة أخرى، قلقت، نادت:

- من بالخارج!؟

- أنا "أبو عباس" جارِكِ يا "نجاة" وأتيت كي أطمئنُ أنكِ وأبنكِ بخير، وإن كنتِ تريدين شيئاً؟

ماذا تريد هي في منتصف الليل؟ وماذا يريد هو في منتصف الليل؟ تعرفه، هو جارها، أقرب دار من دارها، ولكنها تدرك جيداً أن نواياه ليست كما قال، تدرك ذلك من نظراته لها في ذهابها وإيابها، أو حينما يستوقفها ليسألها عن زوجها، أو إن كانت تحتاج لشيء؛ كانت عيناه تتفحصاها من أسفلها إلى أعلاها.

في أي قعدة صُلح بين متخاصمين من أهل القرية؛ يقيمها زوجها بمنظرة البيت؛ ويحضرها إمام المسجد الكبير، زوج "صباح" العارفة بأمور الدين مثل زوجها، والتي تذهب لها نجاة دومًا لتطمئنها بكلامها الطيب. أبو عباس أول من يهرع إلى داخل البيت؛ يحمل عنها صينية الشاي، أو أطباق الطعام، ودائمًا ما يلامس يديها بيديه عن قصد ويوقعها دائمًا في حَرج وغيظ.

- الحمد لله، أنا بخير، ولا أحتاج إلى شيء!

قالتها له، وقلبها يرتجف، لا تعرف لماذا؟

أبو عباس في الأربعين من عمره، رجل من زينة رجال القرية، طول وعرض، وصحة وعافية، أما زوجها "سيد" فقد ولج عقده السادس؛ يسعل

دائماً، يلهث كلما انتهى من جماعها، تشعر بأنه سيموت في كل مرة، ولكنه لا يموت، وتنتهي أيامه الخمسة عشر، ويعود إلى مصر، حيث زوجته القديمة.

"القديمة تِحلى ولو كانت وحلة" تتساءل دوماً سادرة عن سبب معزته للقديمة، رغم أنها أجمل منها وأصغر منها، ومطيعة عنها، ولكن لم تجد ثمة إجابة أبداً: من قال ذلك المثل كان صادقًا!

- افتحي الباب، أريدك في شيء؟

لماذا يلح عليها، هل يعرف أنها ستضعف، أم يجرب حظه ليس إلا؟

سمعت صوت مكبوت قادم من أعماقها؛ ينصحها بأن تفتح، وكل شيء سيأتي بلا حرج، ولن يشعر بهم أحد، فقط تحرِّك المزلاج، والظلام سيتكفل بالباقي!

ارتعش قلبها، توالت خفقاته، طال الارتعاش يديها، تحركتا لا إرادياً صوب المزلاج، قبضتا عليه، سالت دمعاتها في صمت. شعرتْ بأن جسدها التهب بغير نار، قطَر العرق من جبينها، حركت المزلاج حركة قليلة، ولكنها فوجئت بأن الباب قد انفتح.

دخل الجار سريعاً، لم يمهلها حتى أن ترحب به، أو تسأله عمَّا يريد قوله، ولكنه انقض كالمحموم يقبِّلها، ويتحسس جسمها، وهي مذهولة، لا تعرف كيف يحدث هذا؟ خلع جلبابه، مدّ يديه ليخلع جلبابها، أفاقتْ، زجرته، وأبعدت يديه، حدجها، دخلت غرفة نومها، تبعها، وقف على عتبة الباب يتأملها في ضوء القنديل المتأرجح.

كل أمنياته أن يراها عارية؛ يتحسس جسمها، يقبل كل قطعة منه، حتى وإن لم يضاجعها. كان طفلها نائماً على سرير من الجريد والطين؛ اقتربت من طاقة كبيرة بالجدار، فتحت بابها الخشبي، بدأت بإخراج ثياب النوم؛ ابتسم أبو عباس:

- لا داعٍ لقمصان نوم يا نجاة، أنا أريدكِ هكذا؟

بادلته الابتسام مخضَّلة الخدين، وفجأة؛ أخرجت يدها من الطاقة ممسكة "بالغدَّارة" سلاح زوجها الناري، وجَّهته صوبه، جحظتْ عيناه، قالت بحزم:

- هذه الغدارة في بطنها قذيفة "خرطوش" فعليك بالاختيار الآن؛ أتريد الموت مكانك ويقولون الناس قتلته دفاعاً عن عِرضها؟ أم تريد العودة إلى دارك آمناً، ولا تقترب قدمك من هذه الدار مرة أخرى؟

وما إن أنهتْ جملتها، حتى ذاب كفص ملح في ماء!

لماذا لم تطاوعه؟ لماذا لم تخلع ثيابها، وتنم على ظهرها، وتُغمضُ عيناها، ولتشتعل النار بالكون بعد ذلك، ولكن أهم شيء أن تنطفئ نارها؟

سألت نفسها كثيراً، ولم تجد سوى إجابة واحدة؛ هي لم تخنع له حفظاً لكرامة زوجها، أو وفاءً له، بل حفاظاً على هيبتها هي، وكرامتها هي...

تعرف أنها لو ضعفتْ مرة، فلن تقوَ في الثانية، والشيطان شاطر، وسينفلتُ مارد الحرمان القابع بقمقمه الهش، ليُعوِّض سنوات سجنه وكبته، ولن يكف أبداً عن ثورته، حتى تنفضح ويصل خبرها إلى ضُرتها في مصر، وستأمر الزوج بتطليقها. أتحتفظُ بعاهرة؟ طلقها حتى لا تفضح نفسك؟ ويرميها خارج البيت هي وابنها.

ستصبر، وكما قالت لها زوجة إمام جامع القرية الكبير، العارفة بأُمور الدين، لما شَكَتْ لها عن معاملة زوجها لها:

- إن شئتِ فاطلبي الطلاق منه فهذا حقكِ، وتزوَّجي غيره؟

ولكن من سيتزوج مطلقة، في ذيل جلبابها يتشبث طفلين؟ وإن طُلقتْ، فأين ستذهب؟ مات والداها، وانقطعت شجرتها، ولن تجد من يحنوا عليها ولو بلقمة خبز.

قالت لها أيضاً:

- اِصبري حتى يُكتب لكِ كل ذلك حسنات، وفي الجنة سيعُد زوجكِ إلى سن الشباب، وأنتِ أيضاً ستعودين شابة جميلة وسيعوضكِ الله خيراً؟

أفاقت فجأة على صراخ طفلها بالداخل، نظرت إلى إناء اللبن الذي فاروفاض على جانبيه.

سارعتْ وأخمدتْ النار، مسكت بخرقة قماش كعازل بين يديها وبين الإناء، ثم طوقته بالخرقة وحملته، ثم دلفت صوب صراخ ابنها تتذكر ردها على زوجة الشيخ:

- أَبَعْدَ كل ما فعله سيدخل الجنة معي!؟ والله إن دخلتُها ودخلها معي لأخرجُن منها بلا رجعة!

❊ ❊ ❊

العينان البنيتّان

تأليف: ندى أشرف

واحد .. اثنان .. ثلاثة .. ها أنا قد وصلت ..!

عينان بنيتان واسعتان تحاوطهما أهدابٌ كثيفة زادتهما جمالًا ، فتاة صغيرة في فستانها الأبيض الرقيق تنظر للمشهد أمامها غير قادرةٍ على استيعابه مثلهم هي فقط تريده أن يلعب معها ولكنه نائم وهم يبكون فلِمَ؟!

تحتضنها والدتها بقلق وعبراتها تغرق وجهها وما زالت هي لا تفهم سبب هذا البكاء.

ذهبت نحو أخيها النائم وهي توقظه مخبرةً إياه أنهن يبكون ويجب عليه تهدئتهم ولكنه لا يستجيب لردها؛ فتدغدغه ليستيقظ إن كان يداعبها ولكنه لا يستيقظ !

ترد هي: طارق، يا طارق !!

ولكنه لا يرد فتذهب غاضبةً لوالدتها وترتمي بحضنها وتدمع غضبًا منه .. ولكنها لا تعلم أنه يتمنى لو يرد عليها ..

***

عينان بنيتان خاملتان تحيطهما أهدابٌ كثيفة ولكنها لا تستطيع تحليتهما فصاحبتهما لا تريد !

ترتدي بنطالًا وقميصًا أسود تغضب منها والدتها راجيةً إياها بارتداء ملابس رقيقة ملونة كمثيلاتها ولكنها لا تعيرها انتباه وتذهب لأصدقائها لتذاكر معهن وهي تحاول ألا تفكر بمنزلها ومدرستها القديمة اللتان تركتهما لظروفٍ مادية .

***

عينان بنيتان واسعتان تشع الفرحة منهما فاليوم قد نالت شهادة تخرجها واليوم ستبدأ العمل ولن تضطر للمذاكرة وأيضًا اليوم خففت الأعباء المادية على والديها

***

عينان بنيتان تنهمر منهما الدموع ، تجلس هي أرضًا ساندةً رأسها إلى الحائط خلفها ، فُصلت من العمل الوحيد الذي وجدته بعد بحث طويل والآن من سيعيلها هي ووالدتها ؟

***

عينان بنيتان واسعتان تنظران للبحر وأمواجه الثائرة ، يتخلل الهواء البارد عظامها ولا يقيها الفستان الرقيق الذي ترتديه بهذا الجو العاصف ولكن من قال أنها منزعجة من هذا الجو ؟ إنه يناسبها حتى إن جسدها أصبح لا يمرض من هذا الهواء.

قامت بهدوء ووقفت عند بداية البحر وبدأت تبلل قدميها ثم ساقيها ها هي تتعمق أكثر فأكثر وجسدها يرتعش من برودة الماء ولكن لا بأس إنها

لا تمرض وهي تحب البرد! ولكن على عكس العادي يسرع شخص ويخرجها من الماء، تنزعج أولًا من دفء جسده مقارنةً ببرودة جسدها الشديدة ولكن لاحقًا تجد فيه السكينة.

تسند رأسها على صدره وتحتضنه بقوة وتهبط العبرات ببطء من عينيها ، ثم يجلس ويحتضنها ويدثرها بسترته وتنظر لوجهه وتتفرس بملامحه ثم تبتسم وتغمض عينيها البنيتين وهي تردد:

- واحد .. اثنان .. ثلاثة . وتضحك !

هذا ما اعتادت على قوله منذ ما كانت صغيرة كي تمنع الأفكار فتنشغل بالعد فرأسها لا يهدئ ولا يترك لحظة إلا وأغرقها فيها بحياتها البائسة فظلت تلهيه كل يومٍ بالعد ولكن هل تلهي نفسها ؟ هل يزول الحزن من صدرها ؟

احتضنته مرة أخيرة وبادلها الحضن ثم ألبسها سترته لتدفئها جيدًا وقام وسار بعيدًا.

نظرت له لآخر مرة وهي تقول :

-أتمنى لو أكف عن العد ..

❊ ❊ ❊

حب بمائة جنية

تأليف: محمد مجدي نور

نظر البائع إلى ورقة النقود التي يمسكها طارق وقال :

- مائتي جنية ؟! ما زلنا في الصباح يا أستاذ وأحتاج لنقودي !

عاد طارق للبحث في جيبه بلا جدوى والتفت لينظر لمحسن صديقه الواقف بجوار كشك السجائر فاستسلم البائع في نهاية الأمر وأخذ المائتي جنية فضحك طارق وأخذ الباقي وأخذ علبة السجائر ثم عاد للبائع وهو يقول بصوته الذي أجبرته برودة الجو على الهدوء :

- أريد مائة جنية غير هذه !

- مالها ؟!

قالها البائع وهو ينظر للورقة ثم زفر وأخرج ورقة غيرها وأعطاها لطارق الذي عاد لصديقه وأشعل السيجارة وعلى وجهه ابتسامة المنتصر وبينما يضع النقود في جيبه لفت نظره أن المائة جنية مكتوب عليها شيء قرأه بصوت عال ليُسمع محسن ما عليها :

- أحمد وعايدة ! ٢٢ يوليو كل عام وأنتِ بخير!

نظر طارق لمحسن وقال بسخرية :

- ما أنذل النساء !

- ولماذا لا يكون أحمد هو من فرّط في الذكرى ؟! ربما افترقا من الأساس !

طوى طارق الورقة بيده فأصدرت صوتا يوحي بأنها جديدة ثم قال :

- نحن معشر الرجال لا نولي للذكريات اهتماماً كبيراً أنا أعترف ولكن النساء لا يعطيان النقود بل يأخذونها !

قهقه محسن ووضع طارق الورقة في جيبه ثم ركبا في السيارة وانطلقا وطوال الطريق يتحدث محسن لطارق عن الشركة التي تريد معاينة تصميماته فرحب طارق :

- حسابي على الفيسبوك عليه كل تصميماتي كما تعلم !

- سأخبرهم وننتظر ردهم في أقرب فرصة ! .. لا تنسى تعديل التصميم الأخير !

زفر طارق نفسه بعصبية وقال وهو ينظر من وراء زجاج السيارة كأنه يهرب من همومه :

- أسوأ ما في مجالي هذا أن الخطأ يكلفك الكثير وتصحيحه يكلفك الأكثر !

هز محسن رأسه وتمتم :

- وهكذا هي الحياة !

تذكر طارق هاتفه مع ذكر الفيسبوك فأخرج الهاتف وقام بتصوير المائة جنيه ونشرها على حسابه الشخصي وكتب بسخرية :

- ما الذي أغراكِ يا عايدة لتبيعي الذكرى بمائة جنيه ؟!

انهالت التعليقات على الصورة والضحكات وشارك الكثيرون في نشر الصورة على حساباتهم مما جعل طارق يضحك كالطفل ويشغل محسن عن القيادة :

- حينما يأتي المساء ستصل الصورة إلى الآلاف ! لعلها تصل إلى أحمد!

- أو إلى عايدة !

- في الحالتين ستصل لمن باع ولمن انخدع !

كانت عايدة تجلس أمام التلفاز في بيتها الراقي وبجوارها أحمد يتابعان مباراة أجنبية، يصيح أحمد مع كل هجمة بينما تقول عايدة متأففة :

- كم تبقى ؟!

- ما زلنا في الشوط الأول !

سكتت لدقائق ثم قالت :

- هل فريقك فائز ؟!

- التعادل سيد الموقف !

تأبطت يده بدلال طفولي فنظر لها أخيراً :

- بعد المباراة سنذهب إلى السينما

ابتسمت وحاولت فهم ما يجري في المباراة دون فائدة كعادتها ، سكت أحمد دهراً ثم قال :

- لا يعني ذهابنا للسينما أنني سامحتك !

تركت يده وقالت :

- أقسمت لك أن هذا الشاب يعمل معي في المكتب لا أكثر ولا أقل !

- تبتسمين له ؟!

- له ولغيره ! الابتسامة تحل الكثير من المعضلات يا أحمد !

تنهدت ثم قالت برقه :

- كم أحب غيرتك !

- أحبها ولكن أحذرها !

إنهار مع نظرتها واستسلم وابتسم ثم تركها وقام ليتحدث مع والدها فدق جرس هاتفها المحمول فإذا بها رشا صديقتها المقربة التي لا تكف عن الحديث معها ليل نهار

- رشا ! أين كنتِ منذ الصباح ؟!

- هل أحمد بجوارك ؟!

- ماذا بك ؟!

- إخفضي صوت التلفاز وإذهبي لغرفتك فوراً !

ما إن انتهت المكالمة إلا وتركت آثارها على وجه عايدة الجميل الذي تكسوه الحمرة من الأساس ، فتحت عايدة اللاب توب الخاص بها وبحثت عما أخبرتها به رشا حتى صُعقت وهي تنظر بعينها على صورة المائة جنية وخط أحمد عليها فقالت لنفسها بانهيار:

- ثلاثة آلاف مشاركة في أربع ساعات ! كم نعشق الفضائح !

بيد مرتعشة بعثت رسالة للشاب الذي نشر الصورة وأغلقت اللاب توب وعادت لتجلس بجوار أهلها وبجوار أحمد حتى أنها لم تكد تتذكر نص رسالتها وهل وصلت أم لا !

قرأ طارق الرسالة على الفور فضحك وهو راقد على الأريكة في منزله وبجواره أمه وشقيقته الكبرى أسماء التي لاحظت ضحكته وقالت بخبث :

- هل وقع الكئيب في الغرام أخيراً ؟!

- غرام ؟!! هذا أبعد من الخيال ! لن أكررها !

- ستظل كالراهب ؟!

نظرت أمه له بعين شفيقة فرد طارق على أخته :

- الحياة كراهب أفضل من معاشرة بنات آخر الزمان ! لا ولاء لهن !

زمت أسماء شفتيها فجرى ابنها كريم الصغير عليها احتضنته وجففت عرقه من اللعب فقال طارق مترددا :

- لا أقصد إهانتك يا حبيبتي ولكن ..

قصّ طارق عليهما قصة المائة جنية فأنكرت أمه عليه فعلته بينما قالت أسماء :

- غبية من تفرّط في الذكرى ! كم أتمنى أن تعود الأيام وأنظر لوجه أبو كريم رحمه الله !

لم يرد طارق على رسالة عايدة حتى اليوم التالي ، استشاطت غضباً لما عرفت أنه قرأ ولم يوليها اهتماما فبعثت له رسالة أخرى :

"هذا تصرف غير محترم ! لم أنم منذ الأمس وأنت تتلذذ بحرق أعصابي ! أريد مقابلتك في أي مكان تختاره من فضلك ! "

رد عليها أخيراً بكلمات مقتضبه جعلتها أكثر توتراً واتفقا على أن يلتقيا في مقهى عائلي قريب من منزله .

بمجرد أن رأته شعرت للحظه أن القدر يسوقها نحو مغامرة لا تعرف حداً لها ، تسارعت دقات قلبها كلما اقتربت منه فلا هو بمجرم ولا هذه ملامح شخص سيء الخلق! بل للحظة أقرت داخل نفسها أنه أوسم من خطيبها المأسوف عليه!

جلست ولم تشعر بأن اللقاء كما كانت تتخيل بل كان يتكلم بصوت هاديء سرعان ما تحول لنبرة حاده حينما قال رافضاً طلبها :

- لن أمسح الصورة ! افترضي أنها وقعت في يد غيري أو لم تستطيعي أن تصلي إلى !

- ولكني أمامك الآن ! اعتبرني شقيقتك !

قال وهو ينظر لها شذراً :

- لا تقارني نفسك بها ! فبمجرد أن علمت حكايتك اشمأزت منك !

صاحت عايدة لأول مره وكأنها تتمرد على سنوات مضت من عمرها ظنت فيها أن حدود صوتها هي الهمس

- كفاك إهانات يا هذا ! لست بملاك حتى تنصب محاكمتك للبشر ! لماذا تتهمني بأنني فرّطت في الذكرى ؟! لماذا لا تقول أن حقيبتي سُرقت وانتقلت الورقة من يد ليد ؟!

عجز طارق للحظة عن التفكير وهو لا يريد أن يستسلم لحجتها فقالت:

- ظننت شراً لأنك سيء النية ! نسبت لغيرك فعل يليق بك أنت !

ابتسم ببرود وقال :

- لو كانت سرقة لما جئتي إلى هنا ! بل ساقك شعورك بالذنب وخشيتك من الفضيحة !

وقفت في مكانها ووضعت حقيبتها على كتفها استعدادا للانصراف تزامناً مع اتصال أحمد بها فلم تعرف ماذا تفعل ! رضخت لخفقان قلبها وردت فكتم طارق ضحكته وهو يهمس لنفسه ساخراً من احمرار وجهها وهي تتحدث بأدب

- أحمد ! أنا في النادي .. صديقتي ! أنا مع رشا !

سكتت ثوان وهي تستمع لأحمد وتنظر لطارق بعين يتطاير منها الشرر ثم قالت:

- لا تأتي نحن عائدين للمنزل بعد قليل ، أراك في المساء

ثم ضحكت ضحكة مصطنعة :

- لا تنس أنك مدين لي بالذهاب للسينما من الأمس بعدما خسر فريقك !

أنهت المكالمة فقال طارق :

- ممثلات بالفطرة ! يا إلهي !

- أنت سافل !

أخذت حقيبتها وغادرت المقهى وسط نظرات الناس فأخرج طارق حفنة من النقود من جيبه ووضعها على الطاولة وتأكد من أنه لم يضع المائة جنية التي ذاعت شهرتها الآن ثم تمتم ساخراً وهو يغادر المكان :

- حتى لم تدفع ثمن ما شربت ! أين ذهب كبرياء الفتيات !؟

طوال الطريق أثناء عودته كان يسير بمفرده وعقله وقلبه يتحدان عليه بأنه مخطئ ! مئات الأسئلة انهالت على خاطره كلها تلومه، لماذا تفعل ذلك ؟! ما جدوى تعذيب هذه الفتاة ؟!

فأجاب على خواطره بمزيد من السير إلى حيث لا يعلم !

بعدما أشرقت الشمس مرتين على الأرض استيقظ طارق على صدمه عكرت صفو حياته بمعنى الكلمة ! ارتدى قميصه على عجل وذهب إلى حيث يعمل محسن وطوال الطريق يحاول طارق الاتصال بعايدة بنفس الرقم التي تحدثت معه به في المرة الوحيدة بينهما ولكن الهاتف مغلق !

كانت تستمع عايدة في النادي بأشعة الشمس ومعها صديقتها رشا التي تقول :

- أنتِ جباره !

- هو من بدأ !

- كيف فعلتِ هذا بمفردك يا إلهي ! لو كنت في موقفك لأنهرت فوراً وانكشف أمري !

تنفست عايدة الصعداء وقررت فتح هاتفها بينما كان طارق يجلس بجوار محسن في مكتبه وينظر طارق للأرض بعين دامعه

- لم أتوقع هذا أبداً !

- أنت من بدأت يا صديقي !

حاول طارق للمرة العاشرة بعد الألف فتح حسابه على الفيسبوك ولكن دون جدوى ما زال مغلقاً ولا يفتح بكلمة السر المعتادة !

دق جرس هاتف عايدة وهي تتحدث مع رشا وتتباهى بقدرات وائل ابن خالها :

- منذ سنوات وهو بارع في التكنولوجيا صراحة لم أؤمن به إلا اليوم !

رأت الرقم وابتسمت بشماته ورفضت الرد على المكالمة لتزيد طارق اشتعالا

بعد ساعة وبعدما عادت لمنزلها لتنعم بالنوم جاءها اتصال من رقم غريب فإذا بها أسماء شقيقة طارق

- من طارق ؟!

تصنعت عايدة الجهل فقالت أسماء :

- أرجوكِ لا داعي لكل هذا ! المائة جنية معي سأنتظرك في منزلي بالليل!

وافقت عايدة وكأنها تمن على أسماء بالزيارة ثم ذهبت في الموعد فوجدت طارق يجلس في صالة المنزل وينظر لها وأثر الهزيمة على وجهه ، بدأت أسماء الحوار بعدما قدمت المشروب للضيفة وعرّفتها على ابنها كريم الصغير وريم شقيقته ، وبعدما ذاب الجليد في الحوار انطلقت عايدة كالسهم وهي تلقي بكل اللوم على طارق فصاح بدوره وأخرج النقود من جيبه ووضعها على الطاولة أمامهم وقال

- بسبب فتاة تافهة مثلك كادت فرصة عمري أن تضيع ! أعيدي لي حسابي ولا أريد أن أرى وجهك !

نظرت لملامحه التي أقرت الآن أنها ألفتها وربما أدمنتها وقالت :

- لن أترك الأمر يمر عليك دون فائدة !

أخرجت من حقيبتها خمسمائة جنية وأعطتها لطارق فرمى النقود في وجهها وقال :

- خذي مالك ! ليت المال يُصلح كل الأخطاء ويعود بنا للماضي !

نظرت أسماء لطارق بلوم وقالت :

- هذه ضيفتنا !

- انتهت الضيافة يا أوفى النساء ، أخذت الضيفة مالها وعليها الانصراف !

لملمت عايدة النقود ووضعتها في حقيبتها وألقت نظره أخيرة على وجه أحببته وتمنت لو قابلته في زمان آخر وظروف أخرى !

شعر طارق بغصة في قلبه فحاول تصليح الأمر وقال بصوت مُتعب :

- هل معك سيارة ؟!

غادرت عايدة المنزل وهي لا تكاد تميز هل سمعته فعلاً أم كان مجرد صوت في رأسها يتمنى أن تحظى بلقاء آخر معه ذهبت وأغلقت الباب وراءها بقوة .

❊ ❊ ❊

اغتيال عاطفي

تأليف / أمنية عادل

لم أعد أحتمل التفكير كلما نظرت إلى وجهها تجسدت أمامي المشاهد وكأنه فيلما سينمائي قررت ألا أبقى صامتا وأن أتصرف على النحو الذي يرضيني وهممت بالذهاب إليه، قرعت الجرس وفتح لي بعد الرنة الثالثة، وجهه أصبح شاحبا ما إن وقعت عيناه في عيني.. قلت: "مرحبا"، فرد التحية باضطراب قائلا: "مرحبا بك يا صديقي العزيز تفضل".

دخلت قبل أن يتم جملته، شعرت بأحقيتي في منزله كما يحلو له الأمر معها.

جلست على أحد الكراسي المتصدرة الغرفة أمام المدفئة وقولت له: "قررت قضاء الليلة هنا معك ".. صمته كان أبلغ من المعلقات المنصوصة.. وقرأت في عينيه مائة سؤال لماذا؟! ماذا حل بمنزلك؟! أو بالأحرى ماذا حل بزوجتك؟! كنت أريد سماعها منه وقد نلتها في نهاية الأمر فبعد اضطراب ملحوظ قال: "هل من خطب بينكم؟!".

لم أعر سؤاله اهتمام بالغ واكتفيت بهز رأسي وأنا أنظر بأنحاء الغرفة، أريد تعذيبه سأقتله إن لم يكن بالسكين فسيكون بحمى التفكير.

تمشيت في غرفة الجلوس وغيرت وضعية الكرسي ليكن مواجها للمدفئة لتفادي برد الشتاء القاتل.. وقولت: "ألن تزودني بقدح من القهوة

حتى تدفء روحي؟" كنت استمتع بنظرة الذهول التي تخيم على عينيه الصغيرتين هاتان اللاتان التهمتا زوجتي مرارا.. أتى لي بالقهوة دون حديث وظل واقفا.. نظرت له بعد تذوق القهوة وقولت له: "لتجلس. لماذا تقف هكذا كالتمثال الأصم".. بدأ في الحديث مراوغا كالمجرم الذي يحيط جريمته بعناية لمعرفة كافة الخيوط الجديدة.

وقال: "لم تجبني هل من خطب؟!".. بقيت صامتا أحملق به.. هل يظن أن حيلته ستنطوي علي، أنا البحار الذي لم يغلبه البحر يوما وجبت شواطئ العالم بسفينتي، سأغرقه في بحر التفكير وبعد صمت ورشفه أخري من القهوة التي تزداد حلاوتها كلما نظرت له، قولت له: "هل غرفتي جاهزة للنوم أعلم أنك أعزب ولا تجهز إلا غرفة نومك.. سأشاركك بها".

وقف ناهضا كمن لدغته أفعى سامة وسمها توغل إلى قلبه وقال: "لا لا ...أحب أن يشاركني أحد غرفتي سأجهز لك أخري الآن" قبل أن يغادر هممت وكان معصمه في يدي بلحظة خاطفه وقلت: "لا تتعب نفسك فأنا معتاد على المشاركة.. أنت تعرف أن المشاركة شائعة في البحرية، لا تخف يا صديقي فلست مزعجا بالنوم ولا اتحرك كثيرا".

لم أجد منه إلا الطاعة بعد تلك الكلمات وقولت له: "لنهم بالنوم الآن فالمكان لم يعد دافئا وأشعر أن البرد قد حل فأنت ترتعش".. نزع يدي من على كتفه وقال: "أنا معتاد على البرود فلا تقلق، يمكن أن تذهب للنوم وسألحق بك.. عمت مساءا".

ابتسمت له وضربت بعيني لاستمتع بعذابه وقلت :"حسنا كما تحب الأمر كله عائد لك فأنت من تختار التوقيت. سلاما مؤقتا".

الوجه الآخر

حينما فتحت الباب وجدته واقفا كقابض الأرواح، ماذا يريد؟، دخل واقتحم البيت كالمفتش القادم للسؤال عن جريمة يحقق بها، جلس بأريحية قبضت قلبي وطلب قهوة، هبت لإحضارها وفكرت هل أضع له السم أم أدعه يشربها في سلامة.. عقلي المشوش لا يسعفني.. أين فطنتك وذكائك أيها الأبلة.. أتتركه يبتلعك كالبحر الهائج بأمواجه.. على الصمود ومعرفة ما الأمر مهما كلفني من جهد.. فقد طلب المبيت وغرقت في بحره هذه المرة، ما الفخ الذي يحبكه لي هل ينوي اصطيادي تلك الليلة؟، أخبرتها بأن نكف عن اللقاء.. كيف عرف هل اعترفت له أم رآنا ذات مرة.. لكنني أعرفه جيدا لا يقم بهذا إلا أن كان متيقنا من أمرنا.. لهذا تصرفت في حدود ما أملك في هذه اللحظة.

انتقل إلى الأعلى وبقيت وحدي أمام المدفئة وقد عدلت موقع الكرسي بعد أن حركه.. وبدأت أتساءل "ماذا أحضره إلى هنا؟! هل أكتشف الأمر ؟!، ولماذا يأتي إلى منزلي هل ينوي قتلي؟، طريقته توحي بجنونه فهو كالبحر لا أتوقعه.. لا أستبعد وقوفه خلف باب الغرفة مشهرا مسدسه ٩ ملي في وجهي.. أنها خطيئتي.. هل أصارحه أم أحمي نفسي من بطشه الغادر، زيارته لا تحمل الخير كما كشف وجهه أنه ينوي على الكثير لكنه يفضل الاحتفاظ بها كمفاجأة.. حسنا سأحيط نفسي بكافة وسائل الحماية.

ذهبت إلى الجراج لإحضار أحد العصا لأكون مستعدا له وصعدت الغرفة، لا يمكن أن أبقي بالأسفل طوال الوقت، فتحت الباب بروية وأدخلت رأسي بحذر كما المحارب على جبهة الحرب وتعجبت مما رأيت فهو

مستلقي ونائم.. تنفست الصعداء لدقيقة.. وحينها سمعت صوته من تحت الغطاء قائلا:" لا تخف لن تراني وأنا أقتلك".

المواجهة

حينما صعدت إلى الغرفة كنت أعلم أنه سيحضر في النهاية، سيحاول بشتى الطرق أن يظهر كما البريء الذي لم يفعل شيء.. ثقته كانت فخ غبائه الذي مكنني من صيده جاء بقدمه كما السمكة التي تفضل المغامرة قرب الشاطئ ولا تعترف بغبائها إلا وهي بيد الصياد تلفظ أنفاسها الأخيرة.. جهزت حالي ووضعت مسدسي على السرير ومسحته بمنديل ووضعت به كاتم الصوت ورصاصة واحدة علها تكون شافية.. لم أفكر بها في تلك اللحظة فقد تركتها مستلقية في الفراش ممددة كالملاك في ثوب الزفاف الدامي.. جلست صامتا منتظر وقوعه في الفخ وبالفعل سمعته يصعد السلالم يبدو أن القدر يسير بخطواتي.. ها هو يصعد السلم درجة درجة، لا يريد التعجل ما أن شعرت به يقترب من باب الغرفة حتى دخلت تحت الغطاء كالنائمين.. مرت لحظات فتحه للباب ثقيلة.. أدخل رأسه كفأر مذعور ولمحت في يده عصى هل ينوي القتل، إذا لتكن النهاية لي وقولت له فور دخوله: "لا تخف لن تراني وأنا أقتلك" وكانت الكلمة الأخيرة لرصاصة المسدس الواحدة التي وجدت مستقرها "، لم أنعم بفرحتي وسقط المسدس من يدي.. يبدو أنه انتقم مني قبل أن أنفذ به حكمي.

❊ ❊ ❊

العائلة

تأليف / زاهيه سوسي

كل يوم أرجع للمنزل وقبل وصولي بأمتار أسمع صريخهم، نفس السيناريو يتكرر منذ صغري، فأنا نشأت في عائلة تعشق الشجار، عائلة لم تستوعب يوما كلمة "عائلة" .

كنت أسير بتثاقل وأخذ صوت الجدال يقترب من أذني لم أكلف نفسي عناء الاستفسار عن ما جرى ولم أعجل في خطواتي فأنا أعلم ما سيقع، ما إن ولجت رأيت أمي تصرخ على أبي بهستيريا وتصفه أنه أسوأ شخص عرفته في حياتها وأنها نادمة على الزواج بأخرق مثله ، ثم أبصرته يصفعها بقوة فانهارت على الأرض كالجثة الهامدة، بقيت لدقائق على حالها ثم أخذت ترتعش وتهمهم ببعض الكلمات الغير الواضحة ردا على الصفعة، في تلك اللحظات كان أبي يفرغ جم حنقه على إخوتي ، ويقول أننا عائق في حياته وأنه سيغادر دون رجعة ، وأننا سبب في فشله ، وكل تفوه سيء يستحيل أن يلفظه الأب لأبنائه... اعتدنا هذه التهديدات التي لم يجرأ يوما على تنفيذها.

تختلف الأدوار فمرة أبي يعود للمنزل بعد أن شرب الكحول حتى يصير لا يقوى على السير حتى، فتنتهز أمي الفرصة وتبدأ في معاتبته وصب غضب الأيام السابقة عليه، وأخوتي يبكون ويصرخون خشيتا مما

سيحدث، أو ربما ألفوا فعل ذلك وفقط. فأصغرهم يبلغ من العمر خمس سنوات وهي مدة كافية للاعتياد على القرف الذي نعيشه، ومدة كافية لردع الخوف الذي كان داخلنا، لم أتحمل يوما هذا الضجيج رغم أنني جزء لا يتجزأ منه. تمنيت يوما لو حظيت بعائلة هادئة تفهم معنى التحاور بأدب. صرت لا أعرف سبب شجارهم وأحاول جاهدة عدم الخوض فيها، أو التساؤل عنها، صارت عادتي أن أدخل وإن وجدتهم يتخاصمون أعود أدراجي، أخرج وأمشي وأبكي، أسير كثيرا حتى تهدأ حالي ثم أعود لوكر المشاكل.

كان دوما يتبعني، ذلك الشاب الذي منذ مدة يركض ورائي فقط من أجل مساعدتي يسير معي مطولا ويعود أدراجه معي حتى يوصلني لباب المنزل، يقول إنه يبتغيني حلالا.

كدأبي بدأت السير بخطوات سريعة، حاولت أن أهدأ من غيظي بدأ يسير من ورائي كعادته

- فرصة واحدة، ماذا ستخسرين إن قدمتها لي؟ سأسعدك وافقي فقط وسأجلب أمي حالا؟ حسنا إن لم تشائي لكن أخبريني ما بك أريد مساعدتك كصديق وفقط.....

لم أهتم بكلامه فقد بِتُ أعاني من فوبيا تكوين عائلة، أخاف أن ينتهي بي الأمر بائسة كأمي، التي تعاني أو أن أنجب أطفال ليكون لهم أبا قاسٍ لا يتكبد المسؤولية، فأولجهم في صراعات لا يستحقونها.

في الغد اتجه للجامعة أجلس في المقاعد الأخيرة وأترك الأماكن الاولى لمن يستحق متابعة الدروس فعقلي اليوم لا يتحمل الضغط، جلست بجانبي زميلتي في الصف "رهف"

- لازلت شاحبة، والمشاكل تكاد تقضي عليك، لازلت شابة عليها، اتبعيني وسأنسيك كل شيء

- ابتعدي عني لست في مزاج يسمح لي بالمزاح

- ومن قال إنني امزح؟ جربيني ليوم واحد واحكمي بنفسك

- ربما...

- عند انتهاء الحصة سنمضي لبيت رفيقتي.

لم يكن أمامي خيار آخر، ابتغيت أن أهرب بنفسي لمكان هادئ، أن أختلي بنفسي لسويعات وأنسى من أنا وأين أعيش وبماذا أمُر، اتجهت مع رهف لبيت صديقتها كان مكان لالتقاء مختلف الأصدقاء من الجنسين، انزويت في مكان لوحدي اقتربت مني رهف وقدمت لي سيجارة وقالت ما أن تستنشقي نفسا واحدا منه ستشعرين بارتياح كبير، فعلت ذلك لكن شعرت كأنه شب حريق في أضلعي، وكأن هناك من عزل عني الهواء صرت أسعل بقوة وشعرت ببضع دموع تنهمر من عيني

قهقهت رهف عني

- لا تقلقي عزيزتي، يحدث هذا مع الجميع في البداية، كرري ذلك

لكن رفضت ذلك لأنني لم أرد تجربة إحساس أنني سأتقيأ قلبي وأحشائي.

قالت لي: أظن أنك تحتاجين لشيء عملي أكثر وأكثر تفاعلا قدمت لي قرصا صغيرا، كنت أعلم جيدا ما هو ولم أحاول الرفض بل أخذته بصدر رحب وتجرعته، أضحت الرؤية ضبابية كنت أضحك بشدة، كم افتقدت ذلك الضحك الذي يصدر من أعماقي عفويا، تحدثت كثيرا لكن لا أتذكر كلمة مما قلته، غبت عن الوعي لا أدري كم ساعة حتى أيقظتني رهف وأخبرتني أن الحفلة تمت.

عدت للمنزل واكتئاب حاد تملكني كلما اقتربت أكثر كلما زاد اكتئابي، أردت الفرار وفقط أردت البقاء في ذلك المنزل، أردت التهام علبة من المخدرات حتى أنسى من أنا أردت أن أغيب عن الوعي لأسابيع. دلفت المنزل كان هادئا ظننتهم غير متواجدين به، أطليت من نافذة غرفة الجلوس وجدتهم جاثمين معا يشاهدون التلفاز بتركيز وهدوء كانوا مثالا للعائلة السعيدة، أخذت دشا وارتميت في فراشي فكرت كثيرا وأحسست بالندم على ما فعلته، صحيح أنني أريد أن أخرج من هذا الجحيم لكن ليست الطريقة المثلى، ماذا عن ذلك الشاب؟ منذ أشهر وهو يعقبني يحلم بكلمة مني، يريدني حلالا، لما لا أجرب حظي؟ لا يبدو قاسيا، وربما يكون عكس والدي، عسى أن أنشأ أسرة أحسن من التي ترعرعت فيها، أبعدت الفكرة عن رأسي وامتثلت للنوم ففتاة مثلي لا يحق لها أن تحلم بزواج سعيد وبنهاية وردية...

- بعد أسبوع -

كان ضغط الامتحانات شديدا علي ، كنت أعمل ما بوسعي للنجاح فالدراسة هي التي ستنقذني ، حاولت رهف التقرب مني مجددا ، لكن أبعدتها عني قدر المستطاع اعتبرتها زلة صغيرة لن تتكرر ، بعد يوم شاق وامتحان جد صعب كنت عائدة للمنزل بأقصى سرعتي فرأسي يكاد ينفجر ولا أريد شيئا سوى أن ألقي بجسدي في سريري وأن أنام بعمق ، اقتربت من البيت وسمعت صراخ أبي، دخلت فرأيته يسحق كل ما يراه أمامه ، أما أمي قلما تترك سبة أو شتيمة إلا وأطلقتها عليه ، ضقت ذرعا بهم ، لم يكن هذا الوقت المناسب كنت أحتاج للقليل من الراحة وها هم يضطرونني على الخروج مرة أخرى

ربما تتسألون لما لا أتدخل في نزاعاتهم؟ ببساطة سيضربني أبي ويغادر المنزل، ستعانقني امي ونبكي لساعات وعند عودة ابي تتجه لمصالحته، وسأكون سبب المشكلة فيما بعد وتقول أمي أنه ما كان علي التدخل، فأبي قلق ويجب مراعاته...

خرجت من المنزل أنوح وأندب حظي، كعادتي لا أعلم مقصدي لكنني أريد المشي من دون توقف أريد إنهاك ذاتي، أريد القضاء على ما تبقى في من قوة فأسقط أرضا واسترخي للأبد، أريد الموت

- سناء من فضلك استمعي لي، أنا أحبك يا سناء أقسم لك بذلك، لم تبكين؟ أسمعي لي بمؤازرتك

استدرت له

- لازلت تريد الزواج بي ؟

- ط.. طبعا أريد ذلك

- إذا هيا بنا

لم يكن يهمني ماذا يعمل، وإن كان حقا يحبني، وأين سأعيش، أردت الهروب وفقط، اردت تذوق لحظات من السعادة

- سأحضر امي غدا

- بل سنتزوج حالا

- لكن...

- يمكنك الرفض

- موافق، لكن عليك تغيير ملابسك وتجهيز حالك ثم نتجه للشيخ

- أنا جاهزة

- لا بل عليك التجهز أكثر أريد من زوجتي أن تكون جميلة..

بعد إصرار منه اتجهت معه لمحل واخترت فستانا بسيطا لكنه جميل، كم كنت أتمنى أن يشاركوني هذه اللحظات، لكنهم حطموا حياتي

اتجهت معه لمنزله، كانت أمه غائبة

*****

فتحت عيناي بصعوبة بالغة لا أعي شيئا رأسي يؤلمني، أين أنا وماذا حدث، لما أنا....

الفستان - زواج - هذا الشاب....

أدركت الكارثة التي وقعت فيها، لم يكن يريد هذا الأحمق الزواج مني، بل كان يريد، ما يريده أي وحش بشري، كنت سهلة الاصطياد بالنسبة له، العصير الذي قدمه له كان به مخدر، لم أتذكر كيف اشتراه أو متى ربما

يحمله معه منذ أشهر ترقبا لليوم الذي يوقع بي، كيف سمحت له أن يفعل ذلك؟ كيف صدقت شخصا لا أعرف إلا اسمه؟ كيف وثقت به وجئت معه إلا هذا المنزل؟ شعرت بالقرف من نفسي وبما وضعت نفسي فيه، بقلب مثلج كان لايزال نائما أمامي، لم يستخزي من حاله، ينتظر مني أن أوقظه بصراخي الهستيري ليخبرني أنني غبية وصدقته، أنني سمحت له بالتلاعب بي، سيتركني كالبلهاء، ربما سيهددني بعدها، لقد حطم حياتي وقد يحولها لجحيم ...

لن يفعل لن أسمح له!!! اتجهت للمطبخ بهدوء، اخترت أكبر سكين وبهدوء شديد، غرزتها في قلبه، طعنته كثيرا بقوة بحقد وبكره، حررت العالم من شره وخلصت الكثير من الفتيات أمثالي ربما سيكن ضحايا له بعدي، أخدت حماما لأغتسل من القرف الذي كنت فيه، ثم اتجهت مباشرة للشرطة، اعترفت بجريمتي قصصت لهم كل شيء، لم أكن انتظر أن يصدقوني فالقانون لا يحمي المغفلين وأنا من ذهبت معه بإرادتي، أنا التي سمحت له بتحطيم حياتي.

رغم أنني أقضي شبابي في السجن الا أنني لست نادمة على قتله بقدر ما أنا نادمة على أنني لم أرضى بعائلتي، سمعت أن أمي طلقت أبي ورحلت مع إخوتي للهرب من الفضيحة، زارتني مرة لعنتني فيها كثيرا وقالت إنها لن تسامحني أبدا، وإنها لا تريد رؤية وجهي مجددا، أما أبي فاختفى لا أعلم أين، أتمنى أن أسمعهم يتشاجرون ليوم كامل دون توقف أحسن من خسارتهم، أتمنى أن أنام وأستيقظ على شجاراهم، أتمنى لو أنني لم أتمنى حياة أخرى.

ربما تستطيعون فهمي رغمي أنني أتحمل مسؤولة ما حل بي، كنت أحلم بأن أحيا حياة هادئة فقط مع عائلة من دون مشاكل، تمنيت أن أحصل على عائلة كجميع الناس، حاولت الهروب من قدري، وأردت تكوين أسرة لطالما حلمت بها لكنني تسرعت في ايجادها وفي اختيارها وأنا الآن أتحمل مسؤولية لحظة ضعف، سأبقى نادمة عليها طالما حييت....

انتشلني من حلمي ارتطام شيء زجاجي بالأرض وانكساره اتباعا بصوت والدي إلى بدا بالصراخ

يا إلهي!!! هل كنت أحلم؟ هل يعني إنني لازلت برفقة أهلي وإنه بإمكاني الاستماع لشجارهم ؟

لم أستطع تصديق ذلك فقمت مسرعة لأتحقق من ذلك وجدت ذات المشهد، أمي وأبي يتشاجران وأخوتي يبكون وعلى مرأى الجميع واندهاشهم قمت بمعانقتهم الواحد تلو الآخر، وقفوا منذهلين من بكائي ومن كمية الحب التي كانت تتملكني حينها، توقفوا عن الصراخ وعانقوني بشدة دون أن يتلفظوا بكلمة ربما كانت أول مرة أشعر فيها أنني في كنف عائلة، لأول مرة سررت بصراخهم وحمدت الله أنني جزء من هذا العويل، أدركت بعدها أنه أن أكون جزء من عائلة هذا فقط يجعل مني محظوظة. وعلي أن أقبل بعائلتي مهما كانت حالها، وعلى أمل أن تتحسن أوضاع عائلتي يوما ما سأحيا لذلك اليوم بإذن الله

❊ ❊ ❊

العصفور

تأليف / باهر أحمد نصر

بدون حراك أو التفات، جلس ينظر إلى عصفوره في قفصه. كم كان عزيز عليه هذا العصفور. إنه هدية أمه له في عيد ميلاده السابع منذ عامين. كم كانت حياته جميلة ومليئة بالفرحة والبهجة معها قبل موت والده وزواجها من هذا الرجل الآخر الذي تحول مؤخراً إلى كتلة من القسوة والجبروت. جلس ينظر للعصفور وهو يتذكر أمه التي لحقت بأبيه منذ ستة أشهر وتركها له في يد أبغض الناس إلى نفسه.

وما لبث لأن أغمض عيناه المغرورقة بالدموع حتى وجد من يجذبه من ذراعه الصغير الضعيف. إنها الزوجة الجديدة التي دخلت مكان أمه الحبيبة.. ظلت توبخه وتعنفه على عدم الانتباه إليها عندما كانت تناديه منذ قليل.. لم ينطق بكلمة وكأنه وُلِد بلا لسان.. ظلت توبخه وهي ممسكة بذراعه تجذبه يميناً ويساراً.. دخل زوج أمه مسرعاً لصراخ زوجته. لحقته زوجته الجديدة بتل من الشكاوى المفتعلة الحمقاء.. نظر إليه الطفل وهو يستمع إلى شكواها منه.. إنه ليس الوجه الذي رآه في أول مرة يدخل فيها بيتهم. بل إنه ليس نفس الشخص الذي عرفه منذ أن تزوجته أمه.. استدار الرجل له وأمسك به من قميصه وجذبه إليه. توعده بالضرب الشديد إن

لم يلبي أوامر زوجته. ظل يوبخه ويعنفه. رفع يده في الهواء ونزل بها على وجهه الصغير فطرحه أرضاً. ظل يضربه ويضربه. صرخ المسكين. استغاث بالعدم الذي لم ينصفه. ما من منقذ ولا حامٍ يلبي النداء. نظر للعصفور الذي ظل يتخبط في جوانب القفص من شدة الخوف. ظل الطفل يصرخ، وظل العصفور يتخبط...

❊ ❊ ❊

أمــل محتــرق

تأليف / نَورّه أحمد السيك

كانت الاضواء تغرق المكان الصغير. تحتل الفراغات وخبايا الوجوه. ظل يراقب تدفق الوجوه أمامه..

لم يعر أيٌ من هؤلاء يوما أدنى اهتمام . ينقدونه ثمن التذكرة، ويظلوا في تأرجحهم عاليا مع ارتفاع الساقية ..تأتيه صرخاتهم ،كأنها شيء سخيف لا مبرر له. لا يعير خوفهم أدنى اهتمام.. تناول سماعات مشغل الموسيقى من جيبه، لينصت إلى صوت فيروز، تمسح برقتها كل ما علق بقلبه، من صدى صرخاتهم الخائفة.. ويعود ليزيح السماعات جانبا، ليصعد ركاب آخرون، قد نقدوه ثمن تذاكرهم.. تدور الساقية من جديد.. يحكم لف (الكوفية) جيدا حول رقبته، وبين أصابعه تنام سيجارة، تتنقل بين أصابعه وشفتيه.. لم يعرف أبدا، حينما كان ينكب على تلك الكتب، التي يدرسها في الجامعة، أن حاله سيؤول إلى ما آل إليه.. وأن سنوات الدراسة ستتحول إلى رماد ،مثل رماد سيجارة محترقة..

كم ترقب وجهها طويلا بين الوجوه.. تعلقت عيناه بعينيها ..استشرى الدفء في جسده فجأة.. كانت كإحدى صفحات الدراسة ، صفحة لم تُغلق ابدا.. كانت تدور في الساقية كيف لم ينتبه إليها وهى تصعد.. الهاه صوت

فيروز تهمس في أذنيه.(ليالي الشمال الحزينة.. ضللي أذكريني أذكريني.. يسأل عليا حبيبي.. ليالي الشمال الحزينة)...زادته الكلمات وجعا على وجع.

تعانقت نظراتهما. مازالت كما هي، تسود نظراتها الدهشة... مازالت كالأطفال.. بابتسامتها المطلة بخجل فوق شفتيها. توقفت اللعبة.. وتوقف قلبه عن النبض.. ود لو توارى في أبعد مكان الآن...ماذا لو انشقت الأرض لتبتلعه، بعيدا عن نظراتها المتشحة بالدهشة...أخذ نفسا عميقا من سيجارته...هل ستأتي؟

ستمد له يدا مرتعشة، وستسأله عن أحواله.. سيخبرها إنه بخير.. لن تسأله عن ذاك العمل الذى ألتحق به.. لكن عينيها لن تبخل بالسؤال.. وستمنحه نصف ابتسامه، محمله بالضيق لحاله.. أخذ نفسا آخرا من سيجارته، التي لا تضل طريقها بين شفتيه وأصبعه والعكس. سترسم على كفه خطوط السعادة، حينما تتلاقى أناملهما، في عناق محموم بالشوق...وستودعه بعدها بنظرة حزينة مُثقلة ، بألف سؤال، أوقفته امام اللعبة، التي ترتفع عاليا...خطت خارجها، يتبعها آخرين.. لم يعرهم اهتماما.. ولم يبال بصوت فيروز، الذى يدق في أذنيه.. ولا بالسيجارة، التي أوشكت على تقبيل أصبعيه بنيرانها...وكأنه فقد الشعور بالوقت.. غابا في نظرة طويله.. تقدمت تجاهه...سابحة في أضواء الحديقة، فتبدو كإحدى بطلات الحواديت... لم تمد يدها ولم ترمقه بنظرتها المحملة بالأسى.. ولم تمنحه نصف ابتسامة.. فقد خبت الأضواء.. عم المكان ظلام دامس.. لم

يتحرك.. ولم تقو أقدام الناس المذعورة، التي تتزاحم للخروج، من نطاق الأرض المقامة ،فوقها اللعبة، على زحزحته من مكانه.. ظل ثابتا في مكانه وكانه قد زُرع كالأشجار هنا.. انتظر طويلا.. وحتى القبلة المؤلمة، التي تركتها له بقايا سيجارته، التي نامت لحظات طوال، على شفتيه لم تؤلمه... كان هناك وجعا أكبر هناك.. حيث لا يعرف به أحد.. حينما عادت الأضواء لم تكن هناك.. لا نظرتها ولا بسمتها.. سالت دمعه.. تركها تحبو ببطء على وجنتيه... ثم أشعل سيجارة ، راحت هي الاخرى تطير بين شفتيه وأصبعيه.. وعاد لصوت فيروز، ولصرخات الركاب المذعورة، تسلب منه روحه.

❊ ❊ ❊

فستان الحقد

تأليف: إيمان مصطفى

ساقني الفراغ للبحث عن عمل، طرقت أبواب كثيرة حتى وجدت وظيفة شاغرة في مكان لطالما تمنيت الذهاب اليه حيث الفساتين بألوانها الزاهية ويطل الفستان الأبيض كملكة متوجة علي عرش المكان، كانت سيدة طيبة تبحث علي موظفة لبيع وتأجير فساتين الزفاف.

كنت في كل صباح افتح السنتر وانتظر هؤلاء الفتيات السعيدات الشغوفات بجدد الفساتين، وجودي في هذا المكان كان يؤلمني بشدة خاصه وكلما تمعنت النظر في فستان الزفاف، يحرقني قلبي كلما اتذكر ذلك الأمل الزائف الذي علقه في قلبي وتركني ورحل، حيث منذ فترة سابقة جاء غريب واقتحم حياتي علق قلبي وملائني بالشوق إلى هذا الفستان ولحياة كالجنة بعدها، ولكنه اختفى وكأنه سراب ظللت كالمجنونة أبحث عنه ولكن لا أثر له.

وفي يوم جاءت فتاة رقيقة هي وصديقتها تبحث عن فستان زفاف، عرضت عليها المجموعة الموجودة وقلت لها سيتم توريد مجموعة أفضل بعد أسبوع... شكرتني وذهبت وهي قاطعة وعد بالعودة مجددا مع خطيبها.

مرت الأيام وفي مساء يوم كنت كالعادة جالسة على المكتب شاردة في أغنية أسمعها تتحدث عن الخيانة وفي هذه اللحظة وجدته أتي من بعيد توترت وقلت بداخلي:

_ لما يظهر أمامي هذا الخائن؟

أخذ يقترب أكثر وأكثر معانق ليد هذه الفتاة التي أتت من قبل، تقدم حتى صار أمامي تماما وقفت وبدت ملامحي قاسية غير مصدقة قلت بداخلي

_ هو خطيبها إذا، ظهر أخيرا، كان يتلاعب بقلبي المسكين

انصدم هو الاخر وارتبك ولكنه ظل متماسك حتى لا يثير شكوك خطيبته، ظللت أعرض عليها الفساتين وأنا في عالم آخر وقلبي يتمزق رمقته بنظرة وقلت بداخلي:

_ يا لوقاحتك كيف تأتي لتشتري فستانها مني أنا؟

صرخت بداخلي معاتبة نفسي:

_ لماذا أنتي صامتة هكذا؟ هو أمامك الأن ومعه عروسته لما لا تمزقيه إربا. وتطعميه للكلاب ذلك الخائن الذي مزق قلبي ورحل بعيدا

لكني كنت جبانة بل مصدومة، كانت عيني تري المشهد ولكن بداخلي أمواج متلاطمة صراع مشتعل وأسئلة لا إجابات لها قلت:

_ هل هذا حقيقي أم إنه كابوس ولو كابوس ليتني أفيق منه فروحي ستصعد مفارقة جسدي.

تحجج بأنه سيتصل بأحد وذهبت الفتاة لترتدي الفستان وانهرت أنا علي أقرب مقعد، كان الوقت بطيء وكأن عقارب الساعة قد فارقت الحياة وتجمد كل شيء حتى أتعذب مرة اخري.

ندمت على وجودي هنا قلت بداخلي والدموع تتساقط كأمطار الشتاء.... مسكين أنت يا قلبي

فكرت قليلا وظهر الانتقام أمام عيني مسحت دموعي وقلت

لا لن أصمت، ولن أعيش بدور الضحية مرة أخرى _

جاءت الفتاة فتعاملت معها بشكل طبيعي وبنظرات ماكرة تطلعت إليها من أسفل إلى أعلي وقلت:

_ إذا.. أنتي التي سلبتيه مني وتخبطت أنا في طرقات الحياة

مر الوقت أخيرا وذهبوا إلى الجحيم... هكذا تمنيت، ولكن لمعت في مخيلتي فكرة، فالعروس ستأتي بعد شهر لتأخذ فستانها قلت في نفسي :

_ شهر واحد كفيل بأن انتقم منك يا عريس الغفلة

مرت الايام وأنا مشغولة مع الفستان حتى جاءت واستلمته وبعدها قدمت استقالتي من المحل.

وبعد يومين خرجت من المنزل نحو القاعة ووقفت علي بابها، كانت فرحة العروس كبيره لدرجه إنها من كثرة الرقص تمزق فستانها وسقط،

وكانت فضيحة لا ينساها أحد، وما بين دموع العروس وحزن العريس، من بعيد وقفت والتقت عيوننا ببعض، فارتسمت علي شفتاي ابتسامة ساخرة وادرت ظهري له.

❊ ❊ ❊

أنين زهرة المدائن

تأليف : محمد مرزوق

خرجت كعادتها فاطيمة كل يومٍ ذاهبةً إلى مدرستها حاملة على ظهرها حقيبتها الصغيرة وبداخلها كراستها ومحايتها وقلمها وكتبها المدرسية والفرحة تدب في أوصال فؤادها .. سارت لوحدها في الطريق الموحش الوعر الذي لا أنيس فيه ولا جليس قاطعة المسافات الطوال مترجلة على قدميها بعدما ودعت أمها الحنونة وأخيها الصغير والبسمة على وجنتيها لا تفارقها.. وأمها تقول لها بوجه ضحوك: " تصحبكِ السلامة وعناية الله ورعايته بنيتي الصغيرة ".. وصلت لباب المدرسة وكادت أنفاسها تنقطع والعرق ينصب عليها صبًّا.. وبدأت يومها الدراسي الشاق ..

دقت أجراس المدرسة معلنةً انتهاء اليوم الدراسي .. فصارت تنظر إلى مدرستها نظرة غريبة وكأنها تودعها الوداع الأخير .. وبدأت مشوار عودتها من ذات الطريق الذي أتت منه .. شيء يومي متكرر .. وأثناء سيرها بالطريق أنقبض قلبها وبدأ الخوف يراودها حتى تملك منها ..

أسرعت الخطى مهرولةً إلى بيتها الصغير والشوق والحنين إلى عائلتها البسيطة يتدفقان ويتوهجان .. ولمحت السماء من فوقها ملبدة بأدخنة كثيفة .. ونفسها كاد ينقبض من رائحة تلك الأدخنة .. فبادر إلى ذهنها في التو والحال أن العدو الصهيوني قام بهجمة شرسة على ضواحي وشوارع

غزة الأسيرة بفلسطين بالمدافع والطائرات ورجاله .. يقتل ويدمر ويريق الدماء الطاهرة للأبرياء وينتهك محارم الله والحرُمات ويحرق الأخضر واليابس دون هوادة أو مخافة من العلي القدير .. فخافت في نفسها على أسرتها من أن تطلهم هذه الأيادي الأثيمة بسوء .. وتذكرت في خلجات نفسها حالتهم المادية المتردية يومًا بعد يوم : لباسًا باليًا ، مسكنًا بسيطًا لا يقيهم شدة الحر أو برودة الطقس ، وكان أكثر ما يحز في نفسها هي رؤيتها لأمها وهي توهمها بأنها تأكل لتأكل هي وتشبع ..

ولما وصلت إلى الضاحية التي بها بيتها لم تجد شيء فظنت أنها أخطأت الطريق .. لكن سرعان ما هدأت وتذكرت أنها لم تخطأ الطريق وأنها بالفعل في الضاحية التي بها بيتها .. فبدأت في البحث عن شجرة الزيتون التي زرعتها بيديها مع والدها قبل رحيله عن دنياها وكذلك شجرة الحوامض .. هاتان كانتا العلامتان المميزتان لبيتها .. فلم تجدهما فشعرت بالقلق الشديد .. فبدأت في البحث هنا وهناك عن والدتها وأخيها الصغير الذي لم يتعدى عمره بضعة أشهر وتنادي بأعلى صوتها عليهما حتى أعياها التعب ولم تصل لشيء يريحها .. والحيرة والخوف عليهما كادا يقتلانها .. وهي ترى من حولها الدمار لم يترك شيئاً .. فكل شيء أصبح خرابا ً وركاما ً من التراب .. فتيقنت أن الهجمات الشرسة للصهاينة قد طالت بيتها وعائلتها بسوء كما كانت تخاف ..

فبدأت من جديد في معاودة المسيرة بالبحث الدقيق والذي هو مضني عن أمها وأخيها في كل مكان .. وإذا بها بعد مشقة من البحث تسمع صوتاً خافضاً يأتي من جوار كومة تراب .. فأسرعت صوبه فإذا بها ترى أمها

حاضنة أخيها الصغير بين ذراعيها ميتاً والدم يقطر كشلال نهر من أمها.. وقالت لها أمها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة : " لا عليكِ يا زهرة المدائن وتجلدي فعما قريب سيكون لقاءنا في جنات النعيم عند رب ذي فضل كريم ، سيري للأمام وأمضي ولا تفكري في ركام الماضي ".. ثم أعطتها كيسا من القماش وأوصتها أن تفتحه بعد موتها.. ولم تلبث الأم أن تفرغ من كلماتها لأبنتها حتى وافتها المنية ..

فسالت الدموع من تلك الطفلة البريئة حزنا على وفاة والدتها وأخيها حتى تساقطت الدموع على وجه أمها وهي تقول بصوت مخنوق : " لماذا ترحلين أماه وتتركينني في هذه الدنية الموحشة وحيدةً فريدةً أهنت عليكي لكي ترحلين ؟!! ".. كررت هذا السؤال ثلاث مرات على أمها ومع الأسف لا مجيب عليها ..

جلست فاطيمة تتأمل المكان من حولها وكيف أنه صار خرابة من الدمار والأنين يخترق أوصالها ولسان حالها ينطق بمرارة قائلا : " حسبنا الله ونعم الوكيل ".. وتفكر ملياً كيف ستدفن أمها وأخيها وهي لوحدها وصغيرة ، وهي تنظر إلى السماء .. فإذا بها ترى كلبا قد حفر حفرة عميقة وهرول مسرعاً ينبح في وجهها ويمسك بطرف ثيابها ويجذبها ناحية الحفرة ويشير برأسه أن هنا أدفنّي أمكِ وأخيكِ .. فنظرت للحفرة وحمدت الله وقالت : " إذن لن يضعني الله تعالى ".. وأخذت تجر والدتها وأخيها صوب الحفرة والكلب يساعدها حتى وضعتهما بالحفرة وهالت عليهما التراب ، ووضعت علي الحفر حجراً وكتبت عليه بخطٍ كبير« هنا مرقد الأبرار من

ماتوا سفاحاً على يد الأشرار».. وقرأت الفاتحة على روحهما وغادرت المكان والحزن يخيم عليه ..

باتت فاطيمة تجوب ضواحي وشوارع غزة تبحث عن مأوى لها حتى خيم عليها الظلام فنامت من التعب متكأة على جدار أحد بيوت الله تعالى.. وإذا بأحد المصلين وهو خارج في جنح الليل البهيم والظلام دامس من بيت الله إذ تعثرت قدميه بهذه الطفلة الصغيرة وهي نائمة في ثبات عميق ووجها يشع نوراً براقاً... فقال في نفسه : " لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم"، ثم حملها على ذراعيه وأخذها معه لبيته ووضعها على سريره البسيط ،ثم أفترش مفرشاً بالياً من الصوف ونام بجوارها مستلقياً على الأرض ..

استيقظت فاطيمة من نومها العميق فإذا بها تُفزع حينما تجد نفسها في مسكن غريب وعلى فراش لم تعتاد عليها .. وإذا بها تنظر أسفل منها فتجد رجلاً عجوزاً ذات لحية بيضاء ووجه أبيض بحمرةٍ مستغرقاً في النوم، فصاحت في نفسها : أين أنا ؟ .. فأستيقظ الرجل على صوتها قائلاً لها : " لا تنزعجي وهدأي من روعكِ فكل شيء بسيط للغاية وعلى ما يرام بنيتي " ..

فبادرها العجوز بالسؤال : من أنتِ، ولما تنامين في الشوارع ؟ فقصت عليه قصتها المؤلمة، فزرفت الدموع من عينيه.. وأخذ يمسح بكفيه على رأسها ويقول لها بصوت حنون : " لا تخشين على نفسكِ الضيعة فالله معك حافظكِ وراعيكِ " ..

فسألت فاطيمة العجوز قائلة له : عماه أين حقيبتي وكيسي الذي كانا معي ؟

فقال لها : ها هما لا تخافين عليهما فكل شيء في أمان وأنتِ في بيت أمين .. فعلى الفور فتحت الكيس الذي كان من القماش ومربوطًا برباط محكم فإذا به بعض من النقود ورسالة ..

فقالت فطيمة للعجوز من فضلك أقرأ لي هذه الرسالة .. فرد عليها بوجه ضحوك على الرحب والسعة بنيتي ..

فإذا بالرسالة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من أملكِ يا زهرة المدائن، لا تحزنين على فراقنا في الدنيا وغداً لنا لقاء مشهود على رؤوس الخلائق، وأتمنى من الله تعالى أن تكونِ شوكة في صدور الأعادي وتنالي شرف الشهادة كوالدكِ ، وأنه غداً بمشيئة الله سيخرج من أصلاب هذا الشعب العربي الأبي ومن نبت هذه الأرض الطاهرة عمر وصلاح من جديد يعيدان للعروبة مجدها المسلوب ويحرران الأقصى والقدس من يد من دنسوهما مهما طال الزمان ، وإلى من يقرأ هذه الرسالة عليه الاعتناء بالصغيرة واحتضانها فالثواب عند الله كبير فهي بنت الشهداء »..

فقال العجوز : " بإذن الله تعالى ستنفذ الوصية ، وأرقدي هنيئة البال على صغيرتكِ ".. وقام بطي الوصية ثم وضعها في كيس صغير جداًمن القماش ، وقام بحياكة الكيس بخيط كبير بطريقة محكمة للغاية ، وقال للطفلة : " أرتدي هذا الكيس في رقبتكِ ولا تخلينه أبداً إلا عند دخولكِ الحمام فقط "..

قالت فاطيمة للعجوز : " يا عماه أراك تعيش في هذا البيت البالي لوحدك وهو يشبه بيتنا ، فأين إذن عائلتك الكريمة ؟!! "..

فالتزم الصمت قليلاً ثم أجاب العجوز عليها بتنهد شديد وبعبارة تخنقه قائلاً: " لقد رحلت عائلتي عن دنيانا بعدما قتلهم أعداء الله وأعداؤنا ، كما قتلوا أناسا كثيرين "..

سقطت دمعتان من عيني فاطيمة لتعلنا عن وفاة الطفلة البريئة بداخلها ومولد فتاة همام يافعة قد بلغت الحُلم قبل أوانه ونضج عقلها..

فقالت فاطيمة للعجوز : "على رسلك يا عماه وصبَّرك الله على فراق الأحبة ، وغدًا تلتقي بهم في جنات النعيم بإذن الله تعالي " ..

فتبسم العجوز في وجها وأخذ يملس على رأسها بكفيه ويضمها إلى صدره والدموع تنسال من عينيه ،وهو يقول : " الحمد لله رب العالمين الذي عوضني خيراً"..

كان الأسى يملأ قلبها ، والكره والحقد على إخوان القردة والخنازير قد بلغ ذروته ، وهي ترى نزيف الدم يقطر كل يوم أما عينيها ، أو ما تسمعه من الآخرين ..

كانت ترى الأطفال في حيها يحملون في أيديهم حجارة ، وتسمعهم يهتفون بصوت عالٍ يزلزل الأرض من تحت أقدام الأعادي : « لا إله إلا الله...القدس لنا... القدس لنا ... القدس عربية رغم أنف الأعادي ... أحرار منذ مولدنا ... » ، لم تكن تدرك كل ذلك ؛ ولكن وبراءة الأطفال كانت تقول مثل ما يقولون ، وتحمل بين يديها الصغيرتين حجارة تقذفها كما كانوا يفعلون..

وقفت فاطيمة حائرة أمام كل تلك الأحداث ؛ فماذا بمقدورها أن تفعل ؟.. كل يوم ترى طفلا يقتل أمامها ، وامرأة تضرب بلا رحمة ، وشيخاً يقطع إربًا إرباً ، وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق ..

أدركت فاطيمة أن الساعة قد حانت لتأخذ بثأر أبيها وأمها المسكينة وأخيها وكل بريء يقتل بلا ذنب .. كانت الفكرة لا تغيب عن بالها، فقررت أن تنزل إلى ساحة المعركة، وثبت للجميع أنها لا فرق بينها وبين الذكور رغم أنها لم تتعدى الثانية عشر من عمرها ..

كانت كل يوم تخرج من الصباح الباكر مع مجموعة الشجعان الذين في مثل عمرها إلى الشوارع، حيث كان اليهود خلف دباباتهم وبنادقهم خائفين من أطفال لا يملكون سوى الحجارة في أيديهم، فالجميع أحبوها وعرفت لديهم بـ « زهرة المدائن » ذلك اللقب الذي كانت أمها تُحب أن تناديها بها قبل وفاتها .. لم تكن فاطيمة تبالي بدوي المدافع وطلقات الرصاص ، فقد كان كل همها أن تخرج المعتدين من أرضها وأرض أباءها وأجدادها .. وعندما يحين المساء ترجع إلى بيت ذلك العجوز الذي كانت تعيش معه، واستمر الحال هكذا لمدة استغرقت ستة أيام متتالية ..

وفي مساء اليوم السادس وبعد عودتها من الخارج قالت فاطيمة للعجوز: " يا عماه أنني أود زيارة قبر أمي وأخي فقد توحشاني، فهل ذهبنا سوياً لزيارتهما ؟ " ..

فرد عليها العجوز مبتسماً : " نعم بنيتي الحبيبة .. فغداً مع أول ضوء سننطلق ، لكن هل تعرفين الطريق جيدا؟ " ..

فقالت فاطيمة للعجوز : " نعم أحفظ الطريق جيداً.. وهل ينسى المرء طريق أهله وأحبابه ومن جادوا بأرواحهم من أجل وطننا الغالي علينا؟" ..

وفي أول ضوء لليوم السابع انطلقت فاطيمة بصحبة العجوز لزيارة قبر الأحبة لها ، ولما وصلا زرفت عين فاطيمة بالدموع وبدأت تقرأ لهما الفاتحة على روحهما وتدعو لهما .. وإذا بالعجوز يلمح بطرف عليه العبارة التي كتبتها فاطيمة على الحجر بخط كبير« هنا مرقد الأبرار من ماتوا سفاحاً على يد الأشرار» ..

فبادر العجوز بالسؤال لفاطيمة قائلا: " أتعرفين من كتب هذه العبارة البليغة والموجزة ؟ " ..

فأجابته فطيمة : " أنا ياعماه " ..

فقال لها العجوز: " حقاً إنكِ من البلغاء .. بارك الله فيكِ.. وزاد لسانكِ فصاحةً وعقلكِ رجاحةً " ..

ثم فرغا من الدعاء ودعا المكان .. وفاطيمة تقول لأمها : " غداً سنلتقي ، غداً سنلتقي ، عما قريب سنلتقي ، فقد حان اللقاء بيننا " ..

وبعد أن وصلا العجوز وفاطيمة للبيت واستراحا قليلا، خرجت فاطيمة لليوم السابع مع رفاقها في الحي ووجها يشع نوراً وهاجاً، وبينما فاطيمة كعادتها ترمي أحد الجنود بحجر ، أطلق عليه اليهودي الخائف رصاصة غدر استقبلتها فاطيمة بصدر مفتوح وبكل بسالة، اخترقت هذه الرصاصة القاتلة صدر الصغيرة فخرت ساقطة على أعتاب أحد بيوت الله تعالى ودماؤها من حولها تشهد على جبن العدو وخوفه؛ أيقابل حجرا برصاصة ؟!! ..

ركض أحد الأطفال إلى بيت فاطيمة ليخبر العجوز التي لم يستقبل الخبر إلا بدموع الفرح في عينيه ؛ فلقد عرف منذ أن قدمت إليه بأنها راحلة لا محالة ..

ركض العجوز إلى فاطيمة ، وعندما وصل إليها كانت الأنفاس الأخيرة تخرج منها ، جث العجوز على ركبتيه وحمل فاطيمة بين ذراعيه وضمها إلى صدره لتقبلها القبلة الأخيرة ..

وتهمس فاطيمة بصوت تمازج فيه صوت الدمع والفرح قائلة : « إيه يا عماه ! أخبر عني بأني لم أمت...ألف لا... بل أنا عشت وخُلدت منذ هذه اللحظة .. أخبر عني بأن مات طفل حجارة فينا فإن ألف طفل حجارة يولد.. أخبر عني وقول أين أنتم يا مسلمون؟!! أين أنتم يا عرب ؟!! قوموا ، انهضوا، أفيقوا ؛ فالعدو منكم قد قَرُب ،أخبر عني وقول بأن القدس لنا ولن نتوارى ونتهاون في إعادته » ..

ثم نطقت بالشهادة وماتت .. أغمض العجوز عيني زهرة المدائن ، وقال : « نامي بسلام ؛ فرسالتكِ ستصل إلى أذن كل مسلم » ..

وقف العجوز وشلالات الدمع تنهمر من عينيه ليحمل حجراً لم يقذفه بعد حتى جاءت رصاصة غادرة من الخلف لتلقي به جثة هامدة بجانب جثة زهرة المدائن ..

أسدل الستار ليعلن عن نهاية أسرة فلسطينية أخرى .. وليشهد العالم دماء تراق من جديد والصمت يخيم على كل شيء ..

❊ ❊ ❊